جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم العلوم الانسانية

الحروب الصليبية في بلاد المغرب الأدنى من القرن (5-8هـ/11-14م)

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ الوسيط والحديث

إعداد الطالبتين:

شفيعة بوخلخال

نوال المقدم

الأستاذ المشرف:

أ.أحمد بن خيرة

لجنـــــة المنـــاقشـــــــة

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة
سعيد عقبة	رئيسا	جامعة الشهيد حمة لخضر -الوادي
أحمد بن خيرة	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمة لخضر -الوادي
واعظ نويوة	مناقشا	جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي

السنة الجامعية:1437-1438هـ / 2016-2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــــــــاء

﴿ اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس
إذا أخفقت وذكرني دائما بان الإخفاق هو التجربة
التي تسبق النجاح
اللهم إذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي وإذا
أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي ﴾

آمين

شكر و عرفان

قال تعالى : ﴿و لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ سورة إبراهيم الآية : 7

و امتثالا لقول سيد الخلق محمد رسول الله ﷺ : « من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فأدعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه »

فالشكر لله عز وجل أولا و آخرا في توفيقه لنا في إتمام هذا البحث فما كان من شيء يجري في ملكه إلا بمشيئته عز وجل شأنه .

و لأنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله فنحن من هنا نتقدم بخالص عبارات الشكر و التقدير و عظيم الإمتنان إلى الأستاذ الفاضل الدكتور (أحمد بن خيرة) .

الذي كان لنا بعد الله نعم المعين و الموجه، و على ما أولانا به من تشجيع و اهتمام و ما غمرنا به من فيض علمه ،و كثير نصحه و تسامحه و تواضعه و حسن معاملته، و جميل صبره .

كما أتقدم إلى أساتذتنا الأفاضل لجنة المناقشة لتفضلهما بقبول مناقشة الرسالة و مراجعتها و تدقيقها و تكرمهما بإرشادنا إلى مواطن الخلل و النقص .

كما نتوجه بجزيل الشكر إلى كل أساتذتنا في قسم التاريخ على ما بذلوه من عطاء و جهد طيلة مسيرتنا الجامعية، و كذا الطاقم الإداري .

و الشكر موصول إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل .

قائمة المختصرات

قائمــة المختصــرات :

ط : طبعة

د ط : دون طبعة

د د ن : دون دار النشر

د ب ن : دون بلد النشر

د س ن : دون سنة النشر

تع : تعليق

تح : تحقيق

مرا : مراجعة

تخ : تخريج

تق : تقديم

تص : تصحيح

تد : تدقيق

تر : ترجمة

تعر : تعريب

عر : عرض

م : ميلادي

هـ : هجري

ت : توفي

ن ص : نفس الصفحة

ص : صفحة

ص ص : مجموعة صفحات

ج : جزء

مج : مجلد

س : سفر

ع : عدد

ع خ : عدد خاص

Op-cit : المرجع السابق

p : page = الصفحة

المقدمة

لقد شهد بلاد المغرب الإسلامي منذ أواخر القرن (الخامس هجري/ الحادي عشر للميلاد) العديد من الأحداث المهمة التي اهتز لها كيانه، و تركت بصماتها على سير مجرى الأحداث و لعل أهمها الصراع الإسلامي المسيحي الذي عرف باسم "الحروب الصليبية"، و التي دامت لعدة قرون من الزمن و ذلك في شكل حملات عديدة الواحدة تلوى الأخرى، ذاع صيتها في كل أنحاء العالم الإسلامي مخلفة آثارها على المسرح الدولي، ليس حتى نهاية العصر الوسيط فحسب بل امتدت لتؤثر على سير الأحداث في التاريخ الحديث و المعاصر، فكانت شمال إفريقية هي التي تلقت الضربات الأولى من الصليبيين، و من هنا جاء موضوع دراستنا و الموسوم بـ : «**الحروب الصليبية في بلاد المغرب الأدنى من القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي إلى غاية القرن الثامن هجري / الرابع عشر للميلاد**» .

1 – إشكالية الموضوع :

و لدراسة هذا الموضوع طرحنا الإشكالية التالية :

فيما تمثلت مجريات ووقائع الحروب الصليبية على بلاد المغرب ؟

و يندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات كالآتي :

- ما هي خلفيات هذه الحملات ؟
- و ما الدافع الحقيقي وراء نشوبها ؟
- و ما هي أهم الحملات الصليبية التي شهدتها بلاد المغرب ؟
- و ما مدى نجاحها أو فشلها ؟

2 – دوافع اختيار الموضوع :

أما ما دفعنا لاختيار هذا البحث عدة دوافع منها ذاتية و أخرى موضوعية :

فالسبب الموضوعي : أن الحروب الصليبية مثلت حدثا تاريخيا ثريا لمدة قرون من الزمن و هذا يفسر الأهمية الكبرى التي احتلها الغرب الإسلامي بالنسبة للغرب المسيحي، و من هنا تبادرت في أذهاننا فكرة البحث في موضوع الحروب الصليبية، لمعرفة أبعادها الحقيقية و دوافعها و خلفياتها .

أما الدافع الذاتي : فإن هذه الحروب شكلت حلقة تاريخية هامة في العصر الوسيط، لذا أردنا أن نقف و نتمعن في فهم أحداثها مبدينا رغبتنا في البحث في تاريخ بلاد المغرب من خلال تسليط الضوء على هذا الموضوع .

3- المنهج المتبع :

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة هو :

المنهج التاريخي السردي، الوصفي، التحليلي و النقدي .

وذلك حسب طبيعة الموضوع، فالمنهج التحليلي و النقدي تأتي أهميته بعد ذكر الأحداث ووصفها فلن يتم المرور عليها دون تحليل و نقد علمي تاريخي، وبما أن البحث يتضمن الحديث عن وقائع الحروب فإن الطريقة المناسبة لتشخيصها هي الطريقة الوصفية .

4 - تقسيم الدراسة :

وفيما يخص خطة الموضوع فقد قسمناه إلى مقدمة و فصل تمهيدي و فصلين رئيسيين و خاتمة .

أما المقدمة فقدمنا من خلالها الموضوع و إشكاليته و دوافع اختياره و المنهج المتبع، ثم تقسيم الدراسة و تلخيصا وجيزا لأهم مصادر و مراجع البحث المعتمدة ثم الصعوبات التي واجهتنا .

و الفصل التمهيدي بعنوان بوادر و إرهاصات الحروب الصليبية العامة حيث تناولنا فيه المعنى الاصطلاحي لبلاد المغرب و الحروب الصليبية، و خلفيات الصراع الصليبي الذي تطرقنا فيه لثلاث نقاط رئيسية هي صورة المسلم و المسيحي في الأدبيات الإسلامية و الأدبيات المسيحية، و أهمية بلاد المغرب عند المسيحيين، و العنصر الأخير إنتصار مسلمي المغرب ووصول الفتوحات إلى الأندلس و بواتييه و صقلية .

أما الفصل الأول بعنوان الحروب الصليبية أوضاعها و ظروفها، مشاريعها فقد قسمناها لمبحثين فالأول يحمل عنوان الإطار العام للحروب الصليبية، يتناول مطلبين أولا الحديث عن أوضاع وظروف الغرب الإسلامي و المسيحي وثانيا عن دوافع الحروب الصليبية، أما المبحث

الثاني المسمى بنشاط حركة التنصير ومشاريع الغرب المسيحي للسيطرة على بلاد المغرب، تطرقنا فيه لمطلبين الأول نشاط حركة التنصير في بلاد المغرب، و المطلب الثاني عبارة عن أهم المشاريع التي قام بها المنصرين للسيطرة على بلاد المغرب .

و بالنسبة للفصل الثاني بعنوان الحملات الصليبية على شمال إفريقية من أواخر القرن (5هـ/7هـ)، قسمناه إلى مبحثين، الأول هجوم القوى الصليبية على المهدية و احتلال سواحل إفريقية، و فيها لثلاث مطالب الأول تطرقنا فيه لهجوم جنوى و بيزا على المهدية، و المطلب الثاني العدوان النورماني في صقلية على المهدية، و ثالثا احتلال سواحل إفريقية، ثم انتقلنا للمبحث الثاني بعنوان صليبية لويس التاسع على إفريقية، حيث أخذت الجزء الأكبر من التفصيل، باعتبارها الحملة الثامنة في تاريخ العالم الإسلامي، و تحتوي على ثلاث مطالب الأول تخطيط لويس التاسع للحملة و مسيرها إلى تونس، و الثاني إنطلاق الحملة، و الثالث الهزيمة و انسحاب الحملة .

أما الفصل الثالث بعنوان الحملات الصليبية على شمال إفريقية من أواخر القرن (7هـ/8هـ)، قسم لمبحثين الأول الهجوم الأراغوني على إفريقية، تضمن ثلاث مطالب الأول محاولة احتلال قسنطينة، و الثاني احتلال جربة، و الثالث حركة ابن أبي دبوس، و بالنسبة للمبحث الثاني هجوم جنوى على طرابلس حملة لويس دي بوربون على المهدية، و فيها مطلبين أولا الهجوم الجنوي على طرابلس، و المطلب الثاني حملة لويس دي بوربون على المهدية .

أما خاتمة الدراسة فهي عبارة عن أهم النتائج التي توصلنا إليها في مختلف جوانب الموضوع، و حوصلة عامة له .

5 – أهم المصادر و المراجع المعتمدة :

أولا / المصادر :

لإنجاز هذا الموضوع إعتمدنا على مجموعة من المصادر أهمها :

1.ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمان ابن خلدون: و قد اعتمدنا على الجزء الخامس و السادس، حيث تحدث

عن الشمال الإفريقي في تلك الحقبة، كما تطرقنا لتعريف بلاد المغرب من خلال كتابه في الفصل التمهيدي، و تناول الحديث عن الحملات .

2.الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ القسنطيني: أيضا كان له صلة مباشرة بالموضوع، حيث قدم المؤلف أخبار هذه الدولة في حوليات تنتهي سنة (806هـ)، إلا أنه يذكر النسب أكثر من الحدث الواقع .

3.الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لصاحبه أبو عبد الله محمد بن أحمدبن الشماع: و يضم معلومات قيمة عن تاريخ المنطقة و الحملات الصليبية التي شهدتها، إلا أنه اعتمد على اختصار المعلومة .

4.المؤنس في أخبار إفريقية و تونس لابن أبي دينار: اعتمدنا عليه في سرد بعض أحداث الدولة الصنهاجية و أوضاعها، كما ورد إشارات واضحة عن الحملات التي شهدتها المنطقة .

5.المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب للكاتب النائب الأنصاري: استقينا منه بعض معلومات مهمة حول أوضاع طرابلس و الحملات التي جرت فيها .

6.نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار للمؤلف محمود بن سعيد مقديش: إعتمدنا على المجلد الأول و تكمن أهميته في سرد معلومات عن شمال إفريقية و يتحدث عن الحملات الصليبية منذ القرن (الخامس هجري/ الحادي عشر للميلاد)، حتى يصل إلى حملة لويس البوربوني على المهدية سنة (792هـ/ 1390م)، و لكن رغم الإستفادة إلا أنه يتضارب في بعض الأحيان مع بعض **الروايات** لذا نضطر إلى عرض مجموعة من الروايات في ذكر تاريخ أو ما شابه .

7.الكامل في التاريخ لابن الأثير: إنفرد في تحديد الإطار الزمكاني لقيام الحروب الصليبية، و أن هذه الحروب بدأت في المغرب أولا لا في المشرق، كما تحدث بشيء من التفصيل على أولى الحملات الواقعة ما بين سنة (480هـ/1087م) إلى سنة (551هـ/ 1156م) .

8. رحلة التجاني لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد التونسي: فقد اعتمدنا عليه في سرد بعض الوقائع ووصفها .

9. البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب للمؤلف ابن عذارى: إعتمدنا على الجزء الأول الذي يحوي معلومات حول الظروف المحيطة بالدولة الزيرية قبيل قيام الحملات، و تطرق أيضا إلى وصف بعض الحوادث المتعلقة بالحملات الصليبية ضد الشمال الإفريقي، إلا أنه يذكر أحداثا ثم ينقطع .

10. كما اعتمدنا على بعض المصادر التاريخية الجغرافية أيضا و ذلك لتعريف بلاد المغرب و إفريقية و ضبط حدودها و البلدان الواقعة فيها خاصة التي جرت فيها الحملات مثل كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، و كتاب أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم للمقديسي و غيرهم.

ثانيا / المراجع :

أما بالنسبة للمراجع فهي عديدة و متنوعة نذكر أهمها :

1.دور المغاربة و الأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين (400-800هـ)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير لصاحبها أحمد بن خيرة فقد أفادتنا كثيرا خاصة في الفصل التمهيدي .

2.الحروب الصليبية في شمال إفريقية لممدوح حسين، مصطفى شاكر: و الذي يعد أهم المراجع المعتمدة و الملمة بالموضوع، كما أفادنا في التطرق لمشاريع احتلال شمال إفريقيا كثيرا .

3.الحركة الصليبية ج 1، و تاريخ أوروبا العصور الوسطى، و أضواء جديدة على الحركة الصليبية للمؤرخ سعيد عبد الفتاح عاشور: اعتمدنا عليه في الفصل التمهيدي، و كما استعنا بكتابه الحركة الصليبية في شرح الظروف المحيطة بالغرب المسيحي قبيل الحملات .

4.الحروب الصليبية و تأثيرها على العلاقات بين الشرق و الغرب لعزيز سوريال عطية: كذلك استفدنا منه في الفصل التمهيدي، و في ذكر بعض المشاريع التنصيرية .

5.تاريخ إفريقية في العهد الحفصي لروبار برنشفيك: و حمل هذا الكتاب في طياته جملة من الحوادث حول الحملات التي مرت، إضافة إلى الاستعانة به في ذكر بعض الأسباب و الدوافع المتعلقة بالحملات .

6.حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492- 1792م للكاتب أحمد توفيق المدني: و قد استقينا منه معلومات حول الهجوم الأراغوني على إفريقية خاصة في الحديث عن محاولة احتلال قسنطينة (681هـ/ 1282م) .

7.كتابي السلطنة الحفصية، و الحروب الصليبية في المشرق و المغرب لمحمد العروسي المطوي: إستفدنا من الكتاب الأول في وصف بعض الحملات، و الثاني أفادنا في حملة لويس التاسع .

8.كما أفادتنا رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير بعنوان **الحملات الفرنجية (الصليبية) ضد شمال إفريقية** لمنى أحمد فاخر النائب كثيرا خاصة في فصل الحملات .

6- الصعوبات :

أما عن الصعوبات التي واجهتنا أثناء مسيرة البحث عدة منها :

1.قصر الوقت مقارنة بشساعة الموضوع، لكن رغم ذلك استطعنا بصعوبة اجتياز ذلك .

2.المصادر التاريخية لم تتطرق بالتفصيل للحديث عن الحملات التي تلت حملة لويس التاسع على تونس .

3.صعوبة الحصول على بعض الكتب المهمة في الدراسة سواءا كتب عربية أو أجنبية .

4.تشعب موضوع الدراسة، بحيث أن كل حملة بإمكانها أن تكون موضوع بحث آخر .

الفصـــل التمهيـــدي

بوادر و إرهاصات الحروب الصليبية العامة

أولا / بلاد المغرب و الحروب الصليبية (المفهوم و الدلالة)

ثانيا / خلفيـات الصراع الصليبي

1- صورة المسلم و المسيحي في الأدبيات الإسلامية و الأدبيات المسيحية

2- أهمية بلاد المغرب عند المسيحيين

3- إنتصار مسلمي المغرب و وصول الفتوحات إلى الأندلس و بواتييه و صقلية

أولا / بلاد المغرب والحروب الصليبية (المفهوم والدلالة) :

1- مفهوم المغرب :

لغـــة :

الغرب والمغرب بمعنى واحد، الغرب خلاف الشرق، وهو المغرب[1]، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [2].

- إصطلاحا :

تعددت آراء المؤرخين حول مصطلح المغرب، فعرفه ابن خلدون في مقدمته أن المغرب في الأصل إسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بإضافته إلى جهة المشرق، ومشرق بالإضافة إلى جهة المغرب، وعرف أهل الجغرافيا المعتنين بمعرفة هيئة الأرض وتقاسيم الأقاليم أن المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار[3] .

وفي صدد ذكر إسم إفريقية فقد قال ابن عبد الحكم : (... فلما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وأمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يبعث المسلمين ... فيصيبون من أطراف[4] إفريقية[5] ...)، أي دلالة على شيوع مصطلح إفريقية قبل لفظ المغرب[6] .

أما الناصري أعطى لمفهوم المغرب أنه إسم يطلق على ناحية من الأرض[7]، كما ورد عند محمد عيسى الحريري نقلا عن أحد المؤرخين أن كلمة المغرب تطلق على تلك المساحات

---

[1] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور)، **لسان العرب**، ج1، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د س ن، ص 637 .

[2] سورة الرحمن، [الآية 17] .

[3] ابن خلدون (عبد الرحمن) (ت 808هـ/1405م)، **ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مرا : سهيل زكار، د ط، ج 6، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م، ص 128 .

[4] ابن عبد الحكم (أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) (ت 257هـ/871م)، **فتوح مصر و المغرب**، تح : شارلز توري، ج 2، د ط، شركة الأمل للطباعة، القاهرة ، د س ن، ص 183 .

[5] **إفريقية:** و هو إسم لبلاد واسعة و مملكة كبيرة قبالة الأندلس، و الجزيرتان في شمالها فصقلية منحرفة إلى الشرق و الأندلس إلى الغرب؛ ينظر: ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله) (ت 626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، مج 1، د ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ص 228 .

[6] ابن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص 183 .

[7] السلاوي (أحمد بن خالد الناصري)، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج 1، د ط، د ب ن، د س ن، ص33 .

الواسعة التي تلي مصر غربا حتى المحيط الأطلسي، ولم تكن بلاد المغرب معروفة بهذا الإسم عند الفاتحين المسلمين حينما زحفت جيوشهم على تلك البلاد، بل أطلق العرب على بلاد المغرب إسم إفريقية الذي كان سائدا آنذاك لدى البيزنطيين[1] .

وضف على ذلك أن بداية ظهور مصطلح المغرب مرتبط بعصر الفتنة بين علي ومعاوية، أي قبل منتصف القرن الأول الهجري، واستعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، الذي كان يشمل مصر بملحقاتها، والشام وما جاوره وما يقابله من الناحية الأخرى المشرق الإسلامي، فذكر موسى لقبال على لسان ابن الأثير قائلا : (أن عليا أثناء استعداده في الكوفة لحرب معاوية في الشام، خاطب أحد رجاله قائلا تجهزوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب) [2] .

- جغرافية بلاد المغرب (أقسامه، حدوده) :

أقسامه :

إختلف المؤرخون والجغرافيون القدامى حول تقسيمه فنجد ابن عذارى فصل بين إفريقية والمغرب والأندلس[3]، أما الإصطخري فهو يقسمه نصفان شرقي وهو شمال إفريقية وغربي الأندلس[4]، وبخصوص المقدسي في تقاسيمه للأقاليم أنه جعل المغرب مع الأندلس[5] .

---

[1] محمد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها و علاقاتها الخارجية بالمغرب و الأندلس (160هـ-296هـ)**، ط 3، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م، ص ص 11- 12 .

[2] موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م، ص ص 14 – 15 .

[3] ابن عذارى (المراكشي) (ت 712هـ/1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تح : ج.س. كولان، و إ. ليفي بروفنسال،ج 1، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص 5 .

[4] الإصطخري (أبي إسحق إبراهيم بن محمد الفاسي) (ت 346هـ/957م)، **المسالك و الممالك**، تح : محمد جابر عبد العال الحيني، د ط، دار القلم، القاهرة، 1381هـ/1961م، ص 19 .

[5] المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر) (ت 380هـ/999م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ط 2، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، 1909م، ص 101 .

حدوده :

يشير ابن حوقل إلى أن حدود بلاد المغرب تشمل كل ما يلي مصر وبرقة إلى إفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة[1] .

فكانت هذه الإشارات بعد تحديد المجال الجغرافي للفظ ومدلول المغرب الذي انتهى عند المؤرخين والجغرافيين إلى المجال الذي يمتد من مصر غربا من المحيط، ثم يجزؤونه إلى برقة وطرابلس ثم إفريقية حتى نهر ملوية، ثم المغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى، وهناك من يجعل الغرب الإسلامي في المنطقة التي تضم المغرب والأندلس[2] .

2 – معنى الحروب الصليبية :

المعنى اللغوي :

كلمة الصَليب عند ابن منظور مشتقة من الفعل صَلُبَ[3]، وقد ذكر لفظ الصليب في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾[4].

ويشير الصليب إلى معنى ديني لدى النصارى مرتبط بالنبي عيسى بن مريم (عليه السلام)، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله:﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾[5]، ولدى المسلمين معاني للصليب منها إشارة إلى قبلة النصارى[6].

---

[1] ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي)، **صورة الأرض**، د ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 64 .

[2] أحمد بن خيرة، **دور المغاربة و الأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين (400-800هـ)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة الجزائر-2- 1431-1432هـ/2010-2011م، ص 7 .

[3] ابن منظور، المصدر السابق، ج 1، ص 2477 .

[4] **سورة طه**، [الآية 71] .

[5] **سورة النساء**، [الآية 157] .

[6] ابن منظور، المصدر نفسه، ن ص.

المعنى الإصطلاحي:

نقف هنا لنتأمل في رأي بعض المصادر حول مصطلح "الحروب الصليبية"، فنجد القلقشندي وابن الأثير وغيرهما أطلقوا مصطلح "حروب الفرنجة" بدلا من الحروب الصليبية، فذكر القلقشندي في كتابه عندما تعرض للحديث عن وصف أصول وبطون أحد القبائل قال : (وكانوا متفقين هم وثعلبة مع[1] الفرنج[2] على المسلمين ... وكانوا يدا مع الفرنج قديما ... ولكن لم أرهم إلا غزاة مجاهدين لهم آثار في الفرنج)[3] .

المهم من هذا القول أن الكاتب استعمل لفظ الفرنج دلالة على الحرب ضد المسلمين عوض لفظ الصليبيين، لأن الصليب رمزا للفداء والتضحية بالنفس في سبيل الآخرين، ولم يكن أبدا رمزا للحرب والقتل والعدوان[4] .

فظهر مصطلح الحملة الصليبية أواخر القرن الثاني عشر ميلادي، حيث وضع المقاتلون فيها شارة الصليب على صدورهم وظهورهم ودروعهم، وتسمى حملة صليبية بالإسبانية «Cruzada» ومن هنا جاء اسمها في اللغات الأوروبية (kreuzzug-crusade–groisade–cruciatae)[5] .

---

[1] القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي) (ت 821هـ/1418م)، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تح : إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1402هـ/1982م، ص 46 .

[2] **الفرنج:** و من الإفرنج قوم قد تبلدوا، (أي صاروا من أهل البلد) و عاشروا المسلمين، فهم أصلح من قريبي العهد ببلادهم، لكنهم شاذ لا يقاس عليهم، و أطلق العرب لفظ الفرنج على الفرنسيين أولا ثم أصبح يطلق على الأوروبيين ؛ ينظر : أسامة بن منقذ (الكناني الشيزري) (ت 584هـ/1188م)، **الإعتبار مذكرات أسامة بن منقذ في الحروب الصليبية**، تد : عبد الكريم الأشتر، ط 2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1424هـ/2003م ؛ مصطفى وهبة، **موجز تاريخ الحروب الصليبية**، ط 1، مكتبة الإيمان، د ب ن، 1418هـ/1997م، ص 21 .

[3] القلقشندي، المصدر نفسه، ص ص 46 – 47 .

[4] عبد الله سليم عمارة، **حملات الفرنجة (و إسرائيل) تشابه في المسار و المصير**، ع 75، د ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009م، ص ص 4 – 5 .

[5] حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط 1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1407هـ/1987م، ص 267 .

- تطور مصطلح الصليبية عند المحدثين:

تعددت الآراء حول مفهومها الدقيق، فمنهم من عرفها على أنها حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب[1]، لكن هناك من فسرها في ضوء العامل الديني وحده، تهدف إلى حروب مقدسة بتوجيه من الله أو أنها رحلة للحج إلى الأماكن المقدسة[2] .

وقد تطرق محمود سعيد عمران في كتابه لبعض الآراء أن الحروب مرتبطة بالعامل الحضاري باعتباره صراعا بين حضارتين مختلفتين وليس إلى عوامل دينية، لأن الصراع نشب في وقت كان الشرق والغرب يعتنقان الديانة الوثنية .

إذًا هي حركة استعمارية ولدت في غرب أوروبا، واتخذت شكل هجوم مسلح على بلاد المسلمين، وجذورها نابعة من الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية التي سرت غرب أوروبا في القرن الحادي عشر للميلاد واتخذت من الدين ستارا لها[3].

- الإطار التاريخي للحركة الصليبية :

لقد بدأت أحداثها الفعلية في السابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة (1095م) في الوقت الذي كان البابا[4] أربان الثاني[5] ألقى خطبته في[6]مجمع ديني[7]، بحشود المستمعين الذين اجتمعوا

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى**، ج 1، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971م، ص 21 .

[2] عزيز سوريال عطية، **الحروب الصليبية و تأثيرها على العلاقات بين الشرق و الغرب**، تر: فيليب صابر سيف، ط 2، دار الثقافة، القاهرة، د س ن، ص 7 .

[3] محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية 1095 – 1211م**، د ط، دار المعرفة الجامعية، د ب ن، 2000م، ص ص 13 – 15 .

[4] قاسم عبده قاسم، **ماهية الحروب الصليبية**، ع 149، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1990م، ص ص 8 – 9 .

[5] **إربان الثاني** : ولد سنة (427هـ/1035م) في شاتيون سير مارن واسمه أودو و قد درس على يدي القديس برنو و صار راهبًا في دير كلوني سنة (461هـ/1068م) ؛ للمزيد ينظر: محمد مؤنس عوض، **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق و الغرب في القرنين (12– 13م/ 6– 7هـ)**، ط 1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، د ب ن، 2000/1999م، ص ص 62– 63 .

[6] قاسم عبده قاسم، المرجع نفسه، ن ص .

[7] **مجمع ديني** : يمثل ركنا هاما من أركان التنظيم الكنسي في العصور الوسطى ... ؛ للمزيد من التفاصيل ينظر: سعيد عاشور، **أوروبا العصور الوسطى النظم و الحضارة** (مزيدة و منقحة)، ج 2، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م، ص 16 .

في حقل فسيح (في أوفريني بكليرمون جنوب فرنسا)، وكانت الدعوة شن حملة تحت راية الصليب ضد المسلمين في فلسطين[1] ، ولكن أولى بوادر هذه الحركة بدأت في المغرب لا في المشرق بدليل أن المسيحيين شنوا حربا على المسلمين في الأندلس وفي جزيرة[2] صقلية[3]، بمشاركة البابوية والكنيسة بجهودها وأموالها[4]، وخير برهان ما أشار إليه ابن الأثير وغيره، فقال: (في أحداث سنة (478هـ/1086م) تم فيها استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة من بلاد الأندلس وأخذوها من المسلمين)[5]، وفي رواية أيضا لابن جبير أن المغاربة من المرابطين ثم الموحدين كانوا أول من أثار فكرة الجهاد ضد الحركة الصليبية، لسبب واضح هو أن هذه الحروب وقعت بالأندلس (الجناح الغربي للمغرب) قبل أن تمتد إلى المشرق[6] .

عرف العالم العربي الإسلامي عدة حملات أشهرها ثماني حملات، اتجهت أولاها نحو الشام[7]

وآخر حملة كانت بشمال إفريقية (تونس)، والتي اتخذت رقما عدديا باسم "الحملة الثامنة" بقيادة[8] لويس التاسع[9] .

---

[1] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص ص 8 – 9 .

[2] سعيد عاشور، **أضواء جديدة على الحروب الصليبية**، د ط، دار القلم، القاهرة، 1964م، ص 22 .

[3] **صقلية:** جزيرتها كبيرة و نسبت الجزيرة كلها إليها أفتتحت سنة (212هـ) على يد أسد بن الفرات ؛ ينظر : الرشاطي (أبو محمد) (ت 542هـ/1147م)، و الإشبيلي (ابن الخراط) (ت 581هـ/1186م)، **الأندلس في اقتباس الأنوار و في اختصار اقتباس الأنوار**، تق : إيميليو مولينا، و خاشينتو بوسك بيلا، د ط، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م، ص 171 .

[4] سعيد عاشور، **أضواء**، ن ص .

[5] ابن الأثير (أبي الحسن علي بن الكرم محمد) (ت 630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، تص : محمد يوسف الدقاق، مج 8، ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2002م، ص 439 .

[6] ابن جبير (أبي الحسين محمد بن أحمد) (ت 614هـ/1217م)، **رحلة ابن جبير**، تح : حسين نصار، د ط، مكتبة نصر، القاهرة، 1992م .

[7] سعيد عاشور، **أضواء**، ن ص .

[8] محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق و المغرب** (منقحة)، ط 2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1982م، ص ص 139 – 140 .

[9] **لويس التاسع** : (1226– 1270م) تولى الحكم في الثانية من عمره، تحت الوصاية و حكم بنفسه سنة 1235م، قام بحملته الأولى المعروفة بالحملة السابعة عام 1248م بمصر، ثم حملته الثامنة عام 1270م ؛ للمزيد ينظر : محمود سعيد عمران، **معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، د ط، دار المعرفة الجامعية، د ب ن، د س ن، ص ص 221 – 223 .

ثانيا / خلفيات الصراع الصليبي .

1- صورة المسيحي في الأدبيات الإسلامية والمسلم في الأدبيات المسيحية :

- صورة المسيحي للإسلام والمسلمين :

أعلن الإمبراطور[1] قسطنطين[2] في القرن الرابع للميلاد المسيحية كدين رسمي للحكومة فبعد اعتناقها[3]، أدرك المسيحيون أن هناك عرب عرفوا بالسراسنة قبل الإسلام، اشتهروا بالسلب والنهب وخراب الأراضي فهم في أعين الغرب المسيحي مجرد كارثة مثلهم كمثل الشعوب البربرية الأخرى .

وبقيت نظرة المسيحيين لهم حتى بعد دخولهم في الإسلام[4]، وهكذا حدث أن الكتاب المسيحيين الذين أخذوا يوجهون اهتمامهم بحياة النبي محمد ﷺ فوصفوه بالساحر الذي هدم الكنيسة بإفريقية وفي الشرق عن طريق السحر والخديعة، وأنكروا عليه صفة النبوة والرسالة وأنه هو صنم المسلمين الرئيسي[5] .

ومن زاوية أخرى فقد سجل لنا التاريخ مواقف إيجابية للمسيحيين عن الإسلام، أنه لما ارتحل أبو طالب تاجرا إلى الشام وبصحبته النبي محمد ﷺ، وكانت الشام تحت الحكم الروماني وكان في هذا البلد راهب عرف ببحيرا (جرجيس) فلما نزل الركب خرج عليهم، فعرف رسول الله ﷺ بصفته، وسأل أبي طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود[6] .

وبعد خسارة الكنيسة المسيحية لمستعمراتها في بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا وإسبانيا ونجاح الفتوحات الإسلامية، فسروا بعض المؤرخين هذا النجاح على أسس إقتصادية بحتة، فعبر

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج 1، د ط، دار الأمة، الجزائر، 2009م، ص 114 .

[2] **قسطنطين:** هو ابن قسطنش بن وليطونوش بن أرشميوش بن دقبون بن كلوديش بن عايش بن كتبيان أعسب الأعظم الملقب قيصر، وهو أول من ثبت دين النصرانية ؛ ينظر : المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) : **الخطط المقريزية**، تح: محمد زينهم، و مديحة الشرقاوي، مرا : أحمد أحمد زيادة، ج 1، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م، ص 739 .

[3] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ن ص .

[4] أحمد بن خيرة، المرجع السابق، ص 17 .

[5] جوزيف شاخت، و كليفورد بوزورث، **تراث الإسلام**، تر: محمد رهير السمهوري وآخرون، تح: شاكر مصطفى، ج 1، ع 233، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص ص 33 – 34 .

[6] كفوري (صفي الرحمن المبار)، **الرحيق المختوم**، د ط، دار ابن خلدون، د ب ن، د س ن، ص 45 .

توماس أرنولد عنها حيث وصف حركة التوسع العربي أنها كانت هجرة جماعة دفعها الجوع والحرمان جعلها تجتاح بلادا أكثر خصبا[1]، وكثرت كتابات عدة في الغرب، زادت حدة العداء للمسلمين خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الميلادين فيما يعرف باسم الحروب الصليبية من خلال خطبة البابا إربان الثاني الذي أشرنا إليه سابقا[2] .

– الرؤى الإسلامية للجانب المسيحي :

تجلت عظمة الدين الإسلامي في عدة مبادئ، إذ أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الناس أمما مختلفة، وبالتالي فهي تتصارع وتتدافع وتختلف بدليل قوله تعالى:﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[3].

وهذا يعكس ما فعله اليهود حين دعوا أهل نجران من النصارى إلى اعتناق اليهودية وخيروهم بين ذلك والقتل ففضلوا القتل، فكان مصيرهم[4] الأخدود[5] والحرق بالنار والقتل[6].

وهذا دليلا قاطعا على روح تسامح الإسلام بخلاف الأديان الأخرى التي عرف بها العرب والتي لم يكن لها نظير في الشرق أو الغرب في العصور الوسطى[7]، وقد حرم الإسلام دم الذمي كدم المسلم[8] كما أباح لهم إقامة شعائرهم في كنائسهم ولا تهدم كنائسهم بل تسمح بإعادة

---

[1] سعيد عاشور، وإسمت غنيم، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1996م، ص ص 99 – 100 .

[2] حاتم الطحاوي، **الإسلام و أوروبا في العصور الوسطى قضايا المجابهة و العلاقات السياسية و الإنسانية**، جريدة الحياة، بتاريخ 2004/07/03م، ص 9 .

[3] سورة هود، [الآية 118] .

[4] ابن إسحاق (محمد بن يسار المطلبي المدني) (ت 151هـ/768م)، **السيرة النبوية**، تح : أحمد فريد المزيدي، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2004م، ص 34 .

[5] **الأخدود** : قال ابن هشام : «هو الحفر المستطيل في الأرض، كالخندق و الجدول و نحوه و جمعه أخاديد» ؛ ينظر : ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) (ت 213 أو 218هـ)، **السيرة النبوية**، تع و تخ : عمر عبد السلام تدمري، ج 1، ط 3، دار الكتاب العربي، بيروت، 141هـ/ 1990م، ص 50 .

[6] ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر) (ت 774هـ/1375م)، **البداية و النهاية**، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج 3، ط 1، دار هجر، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص 23 .

[7] سعيد عاشور، و إسمت غنيم، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ص 108 .

[8] نفسه، ص 94 .

عماراتها[1]، ودق نواقيسهم إيذانا بصلاتهم ولهم إخراج صلبانهم في يوم عيدهم، وزيارتهم وعيادة مرضاهم وبدخولهم المساجد والصلاة بجوار المسلمين، ومصاهرتهم والتزويج من نسائهم المحصنات العفيفات كما ضمن الإسلام لغير المسلمين الحق في العمل والتجارة[2] .

ونجد من مظاهر التعايش والتقارب بين الديانتين أنه في عهد المهتدي بالله قد استوزر جماعة من النصارى منهم عيسى بن فرخانشاه[3] .

كما أن في العصر العباسي كان للمستكفي (332هـ-944م/334هـ-946 م) كاتب نصراني مثل طازاد[4]، كما اتخذ طبيبا نصرانيا يدعى يوحنا بن بختيشوع [5]، إن عقد الذمة هو عقد بين الدولة الإسلامية ومجموعة من رعاياها لهم دين آخر، حددت بموجبه حقوق كل من الطرفين وواجباته، تقع على كل فرد باستثناء النساء

و الأطفال والرقيق والرهبان والعميان وغير القادرين[6] .

وهكذا سجلت الأحداث الماضية أن المسيحيين عاشوا دائما في كنف الدولة الإسلامية عيشة هادئة هانئة، والشاهد في ذلك عندما بعث ثيودسيوس بطريريك ببيت المقدس رسالة إلى زميله إجناتيوس بطريريك القسطنطينية والتي امتدح فيها المسلمين وأثنى على قلوبهم الرحيمة وتسامحهم المطلق[7] .

---

[1] جان موريس فييه، **أحوال النصارى في خلافة بني العباس**، ط 1، دار المشرق، بيروت، 1990م، ص 174 .

[2] إدوارد غالي الذهبي، **معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ط1، مكتبة غريب، القاهرة، 1993، ص ص 31 – 100 من هنا و هناك .

[3] المسعودي (أبي الحسن بن علي) (ت 346هـ/957م)، **مروج الذهب و معادن الجوهر**، مرا: كمال حسن مرعي، ج 4، ط 1، بيروت، 1425هـ/2005م، ص 148 .

[4] جان موريس فييه، المرجع نفسه، ص 222 .

[5] نفسه، ص ص 172 – 173 .

[6] حسين العودات، **العرب النصارى عرض تاريخي**، ط 1، الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، 1992م، ص ص 66 – 77 من هنا و هناك .

[7] أحمد بن خيرة، المرجع السابق، ص 22 .

2- أهمية بلاد المغرب عند الغرب المسيحي :

أخذت إفريقية مكانة ذات أهمية بالنسبة للكنيسة والعالم المسيحي، ارتبطت بعدة جوانب دينية، سياسية، إقتصادية وإستراتيجية.

- من الناحية الدينية :

إكتسبت أهميتها المتمثلة في أمرين هما: الدور الكبير الذي لعبته إفريقية في سبيل نصرة المسيحية بصفة عامة والمذهب الكاثوليكي خاصة، ثم المكانة التي احتلها وتميزت بها كنيستها بين الكنائس المسيحية الأخرى[1]، برزت المسيحية في بلاد إفريقية خلال القرن الثاني بالخطاب الذي ألقاه القديس ترترليانوس المشهور حيث يقول: (نحن لم نخلق إلا البارحة، ومع ذلك أصبحنا نملأ كل مكان)[2].

وهكذا ظل الرهبان ينشطون نشاطا واسعا حيث لعبت الكنائس وسطا صالحا للاتصال والتفاهم لذلك وفق الرهبان فيما عجز عنه الحكام، كذلك أسهمت إفريقيا في الخلافات المذهبية التي ظهرت في العلم المسيحي[3]، أثناء اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالديانة المسيحية فقام بإصدار مرسوم ميلان الشهير سنة (313م) معترفا بوضع الديانة المسيحية كإحدى الشرائع المسموح باعتناقها داخل الإمبراطورية[4] .

وهذا ما انعكس سلبا على الديانة المسيحية حيث ظهر بالشرق شيع (مذاهب) كثيرة ثم انتشرت في البلاد الإفريقية وكونت لها أنصارا وأتباعا من بين هذه المذاهب[5] المونتانية

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، **الحروب الصليبية في شمال إفريقية و أثرها الحضاري سنة 668 – 792 هجرية 167 – 1390 ميلادية**، ط 1، دار عمار، الأردن، 1419هـ/1998م، ص 57 .

[2] أحمد صفر، **مدينة المغرب العربي في التاريخ عشرون قرنا من تاريخ إفريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي**، ج 1، د ط، دار بوسلامة، تونس، 1959م، ص 362 .

[3] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص 58 .

[4] سعيد عاشور، و إسمت غنيم، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ص 36 .

[5] أحمد صفر، المرجع السابق، ص 364 .

(Montanism)[1] والمارسيونية (Marcionisme)[2] والمانوسية (Manicheisme)[3] ، والأريوسية (Arianisme)[4] والدوناتية (Donatisme)[5]، بالرغم من ذلك بقيت الكاثوليكية في إفريقية موالية للمذهب وسندا قويا لكنيسة روما، مما عزز مكانة مسيحييها في العالم الغربي .

بما أن كنيسة إفريقية احتلت مرتبة سامية في العالم المسيحي فإنها تعد إحدى الكنائس الأولى الست التي تأسست في العالم هذا من ناحية، ومن جانب آخر ما قدمته للمسيحية من فقهاء ومفكرين كانوا من أبرز آباء الكنيسة[6]، ومن أشهرهم القديس ترتوليان أسقف[7] قرطاجة[8] (155 – 245 م) الذي عرف بكتابه "الدفاع عن المسيحية"، ومونيسيوس فيلكس وكل كتاباته موجهة للرد على معارضي المسيحية[9]، إلا أن أهم هؤلاء القديس أوغسطين (357 – 430م) كان عبقري وفذ وقد تمكن بفضل نبوغه ومقدرته في ميادين المجادلة والخطابة والتحرير من بعث روح الحياة الجديدة في الكنيسة الإفريقية[10] .

---

[1] **المونتانية** : أتباع (مونتانوس) الذي دعا للعودة إلى نقاء المسيحية الأولى سنة 156 م ؛ للمزيد ينظر: إسماعيل راجي الفاروقي، و لوس لمياء الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، تر: عبد الواحد لؤلؤة، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1419هـ/1998 م، ص 131 .

[2] **المارسيونية** : نادى بها الفيلسوف مارسيون من مدينة سينوب بأسيا الصغرى و تقول بأن العالم من صنع الصانع أو الإله العادل و يعارضه الإله الخير... ؛ للمزيد من التفاصيل ينظر : أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 364 – 365 .

[3] **المانوسية** : ابتدعها ماني حاول الجمع بين المسيحية و الوثنية الشرقية و بنى مذهبه على التزاوج ؛ للمزيد ينظر : نفسه، ص 365 .

[4] **الآريوسية** : مذهب أريوس الذي كان ينكر وحدة جوهر الأقاليم الثلاثة و يذكر و بالتالي ألوهية المسيح ؛ ينظر: محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال**، تعر : محمد الشاوش، و محمد عجينة، ط 3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م، ص 33 .

[5] **الدوناتية** : هي حركة مسيحية تطهرية تتبع (دوناتوس القرطاجي) عرفت في القرن (4 – 5 م) ؛ ينظر : إسماعيل راجي الفاروقي، و لوس لمياء الفاروقي، المرجع نفسه، ن ص .

[6] أحمد بن خيرة، المرجع السابق، ص 26 .

[7] عبد العزيز الدولاتي، **تونس أعلام و معالم**، د ط، الوكالة القومية للتراث، د ب ن، 1997 م، ص ص 71 – 72 .

[8] **قرطاجة** : أنشأها الفنيقيون على رأس في الجانب الشمالي الغربي من الخليج المسمى الآن خليج تونس . بلغ عدد سكانها 700 ألف نسمة أو يزيدون ؛ ينظر : حسن محمد جوهر، **تونس**، د ط، دار المعارف، القاهرة، 1961 م، ص 22 .

[9] عبد العزيز الدولاتي، المرجع نفسه، ن ص .

[10] أحمد صفر، نفسه، ص 368 .

– الناحية السياسية :

لعبت دورا هاما في صنع تاريخ الإمبراطورية الرومانية فكان من يسيطر على شؤونها يكون له صوت مسموعا في الحكم الروماني وعلى سبيل المثال الصراع الذي نشب بعد الإمبراطور دقلديانوس، إذ استغل حاكم إفريقية دوميسيوس الإسكندر هذه الأزمة وأعلن نفسه إمبراطورا سنة (305م)، ومع أن ماكسينوس بن مكسيميانوس استطاع التغلب على هذه الحركة فهذا يدل على مدى أهمية إفريقية بالنسبة للإمبراطورية[1] .

و في العهد البيزنطي تعرضت الإمبراطورية في القسطنطينية للهجوم الفارسي فاستنجدوا بوالي إفريقية هراكليوس عارضين عليه عرش الإمبراطورية، ولكبر سنه حمل إبنه هرقل المسؤولية فأرسله على رأس جيش إفريقي باتجاه القسطنطينية فحالفه النصر على الفرس[2].

– الناحية الإقتصادية :

تميزت إفريقية إقتصاديا على خلاف بلدان المنطقة الشمالية من البحر المتوسط بتجانس المناخ والموارد المائية فهي تحظى بمكانة فائقة على الصعيد الإقتصادي[3]، وفي عهد السيفريين (192 – 235م) وحتى بعد ذلك العهد بلغت إفريقيا درجة عالية من الإزدهار والقوة .

فقد كثرت المنتوجات من قموح وزيوت وخمور عمت كل البلاد، وأفادت روما بالدرجة الأولى من هذا الازدهار الذي وفر لها قسما من القموح لإطعام عامة الشعب[4]، كما اعتمدت أوروبا عليها في سد حاجياتها من زيت الزيتون[5]، حتى أن بعض المؤرخين أطلقوا على القرن الثاني للميلاد "قرن الزيتون"[6] فقد استشهدنا مما روته بعض المصادر التاريخية كابن عبد

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 69 .

[2] نفسه، ص 70 .

[3] عبد العزيز الدولاتي، المرجع السابق، ص 31 .

[4] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص ص 29 – 30 .

[5] عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م الجزائر عامة**، ج1، د ط، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص 26 .

[6] محمد حبيب بشاري، **روما و زراعة المقاطعات الإفريقية بين 146 ق.م و 285م**، د ط، دار الهدى، الجزائر، 2015م، ص ص 196 – 197 .

الحكم: (أن عبد الله بن سعد هو الذي افتتح إفريقية... وأنه كان يوضع بين يديه الكوم من الورق فيقال للأفارقة من أين لكم هذا قال : فجعل إنسان منهم يدور ... وجد زيتونة فجاء بها إليه فقال من هذا نصيب الورق، فقال وكيف ؟ قال إن الروم ليس عندهم زيتون فكانوا يأتوننا فيشترون منا الزيت فنأخذ هذا الورق منهم)[1] .

واعتبرت إفريقية منفذا هاما لمنتجات قلب أوروبا مثل الذهب والعاج وريش النعام وخشب الأبنوس والصندل والرقيق والحيوانات، واستمر هذا المنفذ في القيام بدوره حتى الفتح الإسلامي[2].

– الناحية الإستراتيجية :

تميزت إفريقية بموقعها الإستراتيجي مما جعلها محل اهتمام أوروبا، وأنها الأرض الخلفية لمدينة قرطاج[3]، فكانت إفريقية هي العدوة الجنوبية للمضيق الهام في وسط البحر الأبيض المتوسط وأن من يسيطر على إحدى عدوتي هذا المضيق لابد وأن يعمل للسيطرة على العدوة الأخرى فهي بمثابة عورة أوروبا الغربية وخط الدفاع الأول عنها لذلك لا يمكن أن تقبل أوروبا الغربية التنازل عنها بسهولة أو السماح لقوة معادية بالسيطرة عليها، لأن في ذلك الخطر الأكيد عليها، والعدوة الشمالية لهذا المضيق توجد روما مركز المسيحية الكاثوليكية[4] .

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج 2، ص 185 .

[2] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 81 .

[3] عبد العزيز الدولاتي، المرجع السابق، ص ص 184 – 185 .

[4] ممدوح حسين و مصطفى، المرجع نفسه، ص 82 .

3- إنتصار مسلمي المغرب ووصول الفتوحات إلى الأندلس وبواتييه وصقلية :

- **الأندلـــــس:**

لما استتب الأمر[1] لموسى بن نصير[2] في شمال إفريقية وانتشر الإسلام فيها بدأ يفكر في فتح بلاد الأندلس، وبعد عدة إجراءات[3]، قام بتوجيه[4] طارق[5] إلى بلاد الأندلس مع جنوده وفتحها[6]، فنزلوا فرضة من الأندلس واقعة على جبل هناك يدعى باسمه[7]، وهكذا تقدم طارق وجنوده لغزو البلاد ودارت بينه وبين أجناد القوط معارك عنيفة فانتصر فيها المسلمين، وقيل قتل فيها لذريق[8] وقيل غاب ولم يدر أين وقع[9] .

هكذا فتح بعد الآخر إلى أن انتهى إلى طليطلة، وقد كاتب طارق موسى بن نصير يبلغه الخبر العظيم بانتصاراته[10]، وكتب له موسى ألا يجاوز قرطبة[11] بعدها سار موسى إلى الأندلس في قوة كبيرة وفي رجب سنة ثلاث وتسعين عبر إلى الأندلس فدخل مدنها المدينة تلوى

---

[1] راغب السرجاني، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، ط 1، مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، 1432هـ/2011م، ص ص 33 – 38 من هنا و هناك .

[2] **موسى بن نصير** : (19هـ– 98هـ) هو القائد التابعي عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي تولى حكم المغرب مكان حسان سنة (86هـ) على عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي ؛ للمزيد ينظر: الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية و المغرب**، تح : محمد زينهم محمد عزب، ط 1، دار الفرجاني، د ب ن، 1414هـ/1994م، ص 51 .

[3] راغب السرجاني، المرجع نفسه، ن ص .

[4] مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بها بينهم**، تح : إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب المصري، د ب ن، 1410هـ/1989م، ص 17 .

[5] **طارق** : هو طارق بن زياد الطنجي الفاتح الحقيقي للأندلس سنة (92هـ) و بقي بها إلى أن ذهب إلى الشام مع موسى بن نصير بطلب من أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك (95هـ) ؛ ينظر : الأندلسي (محمد الغساني)، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، تق : نوري الجراح، ط 1، دار السويدي للنشر و التوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2002م، ص 168 .

[6] مجهول، المصدر السابق، ص 17 .

[7] عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، تح : أحمد بن ميلاد، و محمد إدريس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م .

[8] A.pavy : Histoire de la tunisie, 2 Edition, Editions Bouslam P 297 .

[9] مجهول، المصدر نفسه، ص 18 .

[10] حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، ط خ، دار الرشاد، د ب ن، 2004م، ص ص 271 – 272 .

[11] ابن الأبار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي)، **الحلة السيراء**، تح : حسين مؤنس، ج 2، ط 1، دار المعارف، القاهرة، 1963م، ، ص 334 .

الأخرى إلى أن إلتقى بطارق وسيره إلى طليطلة لفتحها[1]، ثم وجه موسى طارقا إلى جليقية وسار هو إلى أراضي القوط واستولى على قرقشونة وأربونة وحصن لودون على وادي ردونه وتمكن الجيش الإسلامي من دخول جليقية وقبل عودة موسى إلى المشرق نظم شؤون الحكم لإدارة بلاد المغرب والأندلس[2] .

- **معركــة بواتييــه (أو بــلاط الشهــداء) :**

توجه عبد الرحمان الغافقي[3] ناحية فرنسا ليستكمل الفتح من جديد ودخل مناطق لم يدخلها السابقون من قبل[4] فوصل إلى أقصى غرب فرنسا، فتح آرل ثم مدينة بودو ثم طلوشة ثم مدينة تور وأخذها عنوة[5] وبعدها وصل إلى[6] بواتييه[7] وهي تسبق باريس مباشرة أي أنه توغل كثيرا جدا في بلاد فرنسا في اتجاه الشمال[8] وعسكر في مدينة بواتييه في منطقة تسمى البلاط[9] .

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 4، ص 277 .

[2] محمد محمد زيتون، **المسلمون في المغرب و الأندلس**، د ط، د ب ن، 1411هـ/1990م، ص ص 167 – 179 من هنا هناك .

[3] **عبد الرحمان الغافقي** : هوعبد الرحمان بن عبد الله الغافقي أمير الأندلس تولى قيادة جيش العرب الغازي للإفرنجة ؛ ينظر: شكيب أرسلان، **تاريخ غزوات العرب في فرنسا و سويسرا و إيطاليا و جزائر البحر المتوسط**، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د س ن، ص 95 .

[4] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 97 .

[5] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص ص 78 – 90 من هنا و هناك .

[6] راغب السرجاني، المرجع نفسه، ن ص .

[7] **بواتييه:** مدينة على مسافة 332 كيلوا مترا إلى الجنوب الغربي من باريس ؛ ينظر: شكيب أرسلان، المرجع نفسه، ص 90

[8] راغب السرجاني، نفسه، ن ص .

[9] محمد عبده حتامله، **الأندلس التاريخ و الحضارة والمحنة دراسة شاملة**، د ط، مطابع الدستور التجارية، الأردن، 1420هـ/2000م، ص 124 .

أما شارل مارتيل[1] فقد تحرك بجيشه الهائل لملاقاة الغافقي وجيشه هناك[2]، ويذكر ابن عذارى وابن الأثير أن الموقعة حدثت سنة 114هـ [3] إستشهد أهل البلاط[4] وانهزم فيها المسلمون هزيمة مروعة وسميت بمعركة بلاط الشهداء[5] .

- صقليـــة :

كانت أولى تجارب المسلمين لغزو صقلية في أيام معاوية بن أبي سفيان والاستيلاء عليها قال ابن خلدون: (غزا معاوية ابن حديج الكندي أيام معاوية بن أبي سفيان صقلية وكان أول من غزاها)[6]، وبعد ذلك تتابعت الحملات التي كانت تغير على صقلية إلى أيام عبد الله بن الحبحاب (114هـ/732م)[7] .

أما في عهد زيادة الله بن الأغلب بدأ الفتح الحقيقي لصقلية سنة إثنتي عشرة ومائتين فجهز جيشا في البحر وسيرهم إلى جزيرة صقلية بقيادة أسد ابن الفرات قاضي القيروان، وذلك نظرا لأوضاعها الداخلية بسبب السياسة المالية التي فرضها حاكمها البيزنطي بيلاتوس على السكان فكانوا في تذمر عليه، ففكر زيادة الله بن الأغلب ومقربيه الشروع في تنفيذ غزو صقلية[8].

و كان الإبحار من سوسة بخروج القائد الأسد مع جيشه[9] يوم السبت النصف من شهر ربيع الأول سنة إثنتي عشرة ومائتين[10]، ورست سفن الأسطول الإسلامي على ساحل صقلية

---

[1] **شارل مارتيل** : (689هـ- 741هـ) إبن بيبين ديريستال لقب بشارل مارتيل أي المطرقة في معركة بواتييه أو بلاط الشهداء؛ ينظر : شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص 94 .

[2] محمد عبده حتامله، المرجع السابق، ص 124 .

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 28 .

[4] مجهول، المصدر السابق، ص 31 .

[5] المقري (أحمد بن محمد)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح : إحسان عباس، مج 3، د ط، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988 م، ص 16 .

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 278 .

[7] ابن عذارى، المصدر نفسه، ص 27 .

[8] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 436 .

[9] الدباغ (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي) (ت 696هـ/1297م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تع : أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي، و محمد ماضو، ج 2، د ط، مكتبة الخانجي، مصر، د س ن، ص 23 .

[10] محمد محمد زيتون المرجع السابق، ص 119 .

في ميناء مازر ونزلت قوات المسلمين حيث لم يجدوا مقاومة تذكر، وسار على رأس جيشه إلى شرق الجزيرة لمقابلة الروم فاشتد القتال بين الفريقين وانهزمت الروم لكن عند حصار المسلمين لسرقوسة تفشى فيهم الوباء وتوفي أسد بن الفرات في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائتين[1]، وظل المسلمون في تلك الظروف محصنين في بلدة مناو إلى أن تفاجئوا بدخول نفر من الأندلسيين بقيادة قائد يسمى أصبغ بن وكيل المعروف "بفرغوش" فأسرع وهاجم الصقليين والروم، ثم فتح سرقسطة لكن الوباء تفشى فيهم للمرة الثانية تمكن زيادة الله من إرسال قائد جديد وهو أبو فهر الأغلبي وقاد الحملة بنجاح ودخل بلرم ثم توفي وتولى بعده أخوه أبو غالب فأتم فتح على العاصمة .

واستقر الأمر للمسلمين في الجزء الغربي من الجزيرة إلى أن جاء عهد إبراهيم بن أحمد الأغلبي الذي تمكن من التقدم في الشمال والشرق، وأخذ الإسلام ينتشر في كل مدن الصقليتين[2].

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 437 .

[2] حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، ص ص 103 – 104 .

الفصـــــل الأول

الحروب الصليبية أوضاعها وظروفها، مشاريعها

المبحث الأول : الإطار العام للحروب الصليبية

المطلب الأول : أوضاع وظروف الغرب الإسلامي والمسيحي

المطلب الثاني : دوافع الحروب الصليبية

المبحث الثاني : نشاط حركة التنصير ومشاريع الغرب المسيحي للسيطرة على بلاد المغرب

المطلب الأول : نشاط حركة التنصير في شمال إفريقية

المطلب الثاني : مشاريع الغرب المسيحي للسيطرة على بلاد المغرب

عرف الغرب الإسلامي عدة أزمات، فبالرغم من الصراع الذي نشب بين الفاطميين حكام إفريقية والمغرب والأمويين في الأندلس .

إلا أن موازين القوى ظلت لصالح المسلمين بخلاف الغرب المسيحي، الذي لم يكن يجرؤ على مهاجمتهم بل وحتى على حماية نفسه منهم، لكن بانتقال الفاطميين إلى مصر وانشغال أمراء بنو زيري ولاتهم على إفريقية والمغرب بالفتن الداخلية والثورات القبلية والمذهبية، أضف إلى ذلك ضعف مسلمي الأندلس بانهيار الخلافة الأموية مطلع القرن الخامس الهجري وقيام دول ملوك الطوائف .

كل ذلك فسح الطريق لمسيحيي أوروبا للكرة على الغرب الإسلامي متخذين بذلك العديد من الأسباب كذريعة لغزو بلاد المغرب، مما سخر للعديد من المفكرين الصليبيين، ليضعوا خبرتهم وخلاصة أفكارهم التنصيرية في خدمة الحركة الصليبية، لذا سخرت هذه كل الجهود في سبيل تحقيق أهدافها الصليبية .

المبحـــث الأول : الإطــار العــام للحــروب الصليبيـــة

المطـــلب الأول : أوضاع وظروف الغرب الإسلامي والمسيحي

أولا / المغـــرب :

قبل رحيل الدولة الفاطمية إلى المشرق بزعامة قائدها على المغرب المعز لدين الله الفاطمي، حرص على استبقاء ملكه بإفريقية[1]، وذلك باختيار بلكين بن زيري الصنهاجي[2]،

[1] ابن الخطيب (لسان الدين) (ت 776هـ/1375م)، **أعمال الأعلام**، تح : أحمد مختار العيادي، و محمد إبراهيم الكتاني، ج 3، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص 61 .

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 206 .

فولاه أمر إفريقية والمغرب، باستثناء صقلية[1] وطرابلس[2]، وفي أوائل القرن الخامس الهجري تولى[3] المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي[4] (406-454هـ/1016-1062م)[5] أمر إفريقية وما والاها من بلاد المغرب[6]، شهد في عهده عودة الثورات والفتن من جديد فظهرت في شكل ثورات قبلية ومذهبية فكان أولها[7] :

- حدوث ثورة اقتتل فيها الشيعة مع أهل القيروان[8] .
- كما استمرت الحروب بينه وبين عمه حماد بن بلكين[9] .
- وكانت له مع زناته حروب ووقائع .

[1] طارق بن زاوي، **إستقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406- 454هـ/1016- 1062م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية، ، جامعة الجزائر، 2009/2008م، ص 59 .

[2] **طرابلس:** و هي مدينة مساحتها صغيرة و خيراتها كثيرة، أنيقة البناء فسيحة الفناء ... ؛ للمزيد ينظر : العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد)، **الرحلة العياشية (1661 – 1663م)** تح : سعيد الفاضلي، و سليمان القرشي، مج 1، ط 1، دار السويدي، الإمارات المتحدة، 2006م، ، ص 135 .

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 267 .

[4] بن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر) (ت681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، مج 5، د ط، دار صادر، بيروت، د س ن، ص 233 .

[5] ابن عذارى، المصدر نفسه، ن ص .

[6] ابن خلكان، المصدر نفسه، ن ص .

[7] ابن عذارى، نفسه، ص 269 .

[8] النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) (ت 733هـ/1334م)، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تح : عبد المجيد ترحيني، ج 24، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د س ن، ص 111 .

[9] ابن عذارى، نفسه، ن ص.

– وما زاد الأمر سوءا هو هجرة عرب[1]بنو هلال[2] إلى إفريقية، وسبب ذلك[3]إعلان المعز القطيعة والانفصال عن الفاطميين[4]، وناصر المذهب السني ودعا للقائم من خلفاء العباسيين ببغداد، فكان رد الفعل من الخليفة الفاطمي الإنتقام بدفعه لتلك الأعراب إلى المغرب فعاثوا في الأرض فسادا وازدادت الأوضاع سوءا[5] .

فنلاحظ هنا أن انفصال الدولة الصنهاجية عن الفاطميين رغم الضعف الذي قسم ظهر المغرب الإسلامي، إلا أن هناك دلالات خطيرة امتازت بها دولة بني زيرى تمثلت في بعث الوحدة الروحية السنية، وانتصار المذهب السني في شمال إفريقيا[6] .

أما خليفته تميم بن المعز (453–501هـ/1061–1107م)، فكانت مدته أشد اضطرابا وأكثر فتنة تكونت في عصره إمارات مستقلة، بحيث ثارت ضده مدن تونس وسوسة وصفاقس وقابس والجريد[7]، وثار عليه مالك بن علي الصحري حتى هاجم المهدية وحاصرها وهاجم الجنويز والبيزان زويلة فسلبوا ونهبوا، وكانت نكبة المجاعة والوباء قد عمت البلاد (483هـ/1090م)[8] .

ثانيا / صقليـــة :

كانت الأوضاع في صقلية تمهد لسقوطها وقامت الفتن الداخلية بسبب اختلاف أفراد ولاتها، حتى طلب الصقليون من المعز بن باديس سنة (437هـ/1045م) مساعدتهم على هذا

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 210 .

[2] **بنو هلال:** قال ابن حزم في نسبهم: "بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر"؛ ينظر: ابن حزم (أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي) (ت 456هـ/1073م)، **جمهرة أنساب العرب**، تح : عبد السلام محمد هارون، ط 5، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص 273 .

[3] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 211 .

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، مج 5، ص 233 .

[5] ابن خلدون، نفسه، ن ص.

[6] جورج مارسيه، **بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر : محمود عبد الصمد هيكل، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م، ص ص 13– 14.

[7] حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، ص 507 ؛ ينظر: الملحق رقم (1).

[8] محمد المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق و المغرب**، ص 18.

الانقسام، لكنه فشل في ذلك، ثم استنجدوا بابنه تميم بن المعز الذي قام بإرسال ولديه علي وأيوب ولكن انقسام أهل الجزيرة أجبر الأخوين على العودة إلى إفريقية، بعد محاربتها للنورمان وهُزما[1] .

فأدت إلى سقوط الجزيرة بالكامل سنة (484هـ/ 1093م)على يد النورمان الفرنج[2] ولم تبق منها إلا جرجني وقصريانة، فحوصرت هذه المناطق واستسلمت جرجني أولا ثم قصريانة بعد ثباتها سنوات عديدة، الأمر الذي جعل الخطر الصليبيي النورماني يطرق أبواب شمال إفريقيا[3] .

ثالثا / الأندلـــس :

كانت الخلافة الأموية بالأندلس خلال السنوات الأخيرة للقرن (الرابع للهجري/ العاشر ميلادي) إلا وهمًا بعيدة عن الواقع، وذلك ابتداءا من وصاية ابن أبي عامر وأبناءه الإثنين من بعده، ومع ذلك[4] فالعامريون[5] كانوا يتنافسون بمظهر القوة حول لقب أمير المؤمنين إلى أن انهار كل شيء[6] .

وكان لسقوط هذه الخلافة بالأندلس عهدا مزيفا ليستمر حتى (479هـ/ 1086م) فتميز بالثورات والفتن[7]و كثرت المكائد وتوالت وبدأت البلاد تقسم إلى إمارات[8]، وما كاد القرن الخامس

---

[1] عبد العظيم رمضان، **الصراع بين العرب و أوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية**، د ط، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص ص 253– 254 .

[2] ابن كثير، المصدر السابق، ج 16، ص ص 118 – 119 .

[3] أحمد توفيق المدني، **المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا**، د ط، مكتبة الإستقامة، تونس، د س ن، ص 188 .

[4] جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 9 .

[5] **العامريون** : نسبة لمحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعافري، يرجع إلى أصل من أعرق الأصول العربية، و كان جده عبد الملك بن عامر المعافري أول من دخل الأندلس مع الفاتحين، وتولى كثير من أبنائها مناصب القضاء و الإدارة ؛ للمزيد ينظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية و الدولة العامرية العصر الأول – القسم الثاني، ط 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص521 .

[6] جورج مارسيه، المرجع نفسه، ن ص .

[7] نفسه، ن ص .

[8] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 293 .

الهجري ينجلي حتى أصبحت هذه الفترة من أصعب الفترات بإلغاء الخلافة الأموية في الأندلس ليبدأ عهد ملوك الطوائف الذي قضى على الوحدة وتفرقت الأندلس إلى دويلات ومدن متباعدة متخاصمة[1]و انتشرت النزاعات والصراعات الداخلية بين ملوك الطوائف وسعى كل واحد منهم بالإنفراد بالسلطة .

واضطر هؤلاء الملوك إلى دفع مبالغ طائلة كجزية لجيوش النصارى ليقفوا إلى جوارهم أو ليكفوا أيديهم عنهم، وفي الوقت الذي كانت تعاني فيه الدولة حالة من الضعف والانقسام بعهد ملوك الطوائف، كانت النصارى تتحد مع ملوكها، وتزداد الروابط بينهم قوة ومتانه، وتجمع كلمتهم على هدف واحد .

لكن هذا لا يدل على قوة النصارى وحسن إعدادهم إنما يدل على ما آل إليه ضعف المسلمين وتفريق كلمتهم مما فسح المجال لمسيحيي غرب أوروبا وتجميع قواهم لغزو العالم الإسلامي[2] .

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 130 .

[2] (إسماعيل بن إبراهيم بن أمير المؤمنين) (ت1237هـ/1821م)، **تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط (من خلال مخطوط تاريخ الأندلس)**، عر : أنور محمود الزناتي، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص ص 80 – 81 .

رابعا / غـرب أوروبـــــا :

بعد تعرض أوروبا في مطلع العصور الوسطى للغزو الجرماني المدمر ثم غزوات[1] الإسكندنافية[2] والمسلمين والمجريين في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين[3]، بالإضافة إلى الإنهيار السياسي، حيث تدهورت الأوضاع الإجتماعية والثقافية والاقتصادية على الرغم من فترة الصحوة التي شهدتها أوروبا في عهد شارلمان أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع فقد أفسدت هجومات[4] الفيكينغ[5] مواطن الحضارة الأوروبية .

- ظهور النظام الإقطاعي :

وللتصدي لهذا الهجوم حاول الأوروبيون إيجاد نظام يحميهم ويوفر لهم الأمن فجاءوا بالنظام الإقطاعي الذي أضعف سلطة الأباطرة والملوك في حين قوى سلطة الأمراء الإقطاعيين على الجميع، إلا أن هذا النظام اعتمد على فلاحة الأرض وقام على أساس تحكم القوي في الضعيف مقابل حماية الرعايا من الهجمات الخارجية[6] .

فبالنسبة للكنيسة ومنذ سقوط الإمبراطورية الرومانية في غرب أوروبا أواخر القرن الخامس، وجدت نفسها المسؤولة الأولى عن الاهتمام بحضارة العالم الغربي[7]، لكن حينها لم

---

[1] محمد سهيل طقوش، **تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) (489- 690هـ/1096- 1291م)**، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1432هـ/2011م، ص 16 .

[2] **الإسكندنافية:** و في الممالك الإسكندنافية التي قامت في أوروبا و الدانمارك و النرويج، فرض على شعوبها إجمالا اعتناق المسيحية ... ؛ ينظر : أرنولد توينبي، **مختصر دراسة للتاريخ**، تر : فؤاد محمد شبل، ج 1، د ط، د د ن، القاهرة، 2011م، ص ص 264 - 265 .

[3] محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ن ص .

[4] سعيد عاشور، **الحركة الصليبية**، ج 1، ص 18 .

[5] **الفيكينغ** : هم العناصر الشمالية التي سكنت شبه جزيرة سكندناوة و شبه جزيرة الدانمارك، و اسم الفيكينج بمعنى سكان القيوردات أو الخلجان و أصل جنسهم من التيتوني أو الجرماني ؛ ينظر : سعيد عاشور، و إسمت غنيم، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ص 174 .

[6] سعيد عاشور، المرجع نفسه، ن ص.

[7] سعيد عاشور، **أوروبا في العصور الوسطى النظم و الحضارة**، ج 2، ص 261 .

يكن بوسعها تعديل تلك الأوضاع بسبب الانحلال الخلقي الذي كان يسري في عروق البابوية ورجال الدين فجرفها التيار الإقطاعي معه .

- بروز عصر النهضة :

بحلول القرن الحادي عشر للميلاد تعرضت أوروبا إلى صحوة كبيرة وبلغت الذروة في القرن السادس[1] واستمرت بعد ذلك إلى حلول القرن الخامس عشر حتى أطلق المؤرخون على هذه الصحوة في المجتمع الغربي منذ القرن الحادي عشر اسم "نهضة القرن الثاني عشر"[2] .

و خلال هذه الفترة كانت المؤسسات السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية قد تشكلت ورسخت، بحيث كانت الأساس الذي قامت عليه حضارة أوروبا في العصور الوسطى[3]، كما شهد القرن الحادي عشر قادة وزعماء بارزين أمثال وليم الفاتح ملك إنجلترا، والإمبراطور هنري الثالث وابنه هنري الرابع، وألفونسو السادس ملك قشتالة وغيرهم .

وبالمقابل عاشت خلال هذا القرن معظم البابوات الإصلاحيين من أبرزهم جريجوري السابع الذي رغب في تحقيق السمو البابوي، وخليفته أربان الثاني صاحب الدعوة إلى الحملة الصليبية[4]، وهكذا نجد أن الظروف في هذه الفترة كانت لصالح الغرب المسيحي تمثلت في عدة جوانب :

الجانب السياسي : فقد استقرت الأوضاع السياسية خاصة بعد توقف غارات الفيكينغ، وأخذ الملوك يعملون على استرجاع سلطانهم .

أما من الناحية الثقافية : فقد نشطت مختلف العلوم بترجمة الكتب العربية، فظهرت أولى الجامعات في أوروبا الغربية .

---

[1] أحمد بن خيرة، المرجع السابق، ص 65 .

[2] سعيد عاشور، **الحركة الصليبية**، ص 18 .

[3] مصطفى وهبة، المرجع السابق، ص 9 .

[4] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 49 .

أما اقتصاديا : فقد ظهر فيه النشاط الكبير للمدن الإيطالية مما بعث على حركة الهجرة للعمل فيها[1] .

أما الجانب الديني : فقد مرت الكنيسة بأهم عملية إصلاحية تحت زعامة أولئك الذين تربوا في[2] الأديرة الكلونية[3]، ومن بين هذه الإصلاحات معالجة قضية زواج رجال الدين عبر المجامع الكنسية التي عقدت خلال القرن الحادي عشر للميلاد وتقليدهم لحياة البذخ والترف[4].

أما الجانب الإجتماعي : فكل هذه الجوانب المتعددة التي شهدتها هذه الفترة كانت انعكاسا إيجابيا على الحياة الإجتماعية في أوروبا، حيث ظهرت الطبقة البورجوازية من غير الإقطاعيين ورجال الكنيسة كما ظهرت طبقة وسطى هي طبقة العمال[5] .

ومجمل ما قيل من خلال الأحداث التي تزامنت ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد أعطت للغربيين طاقة هائلة وأمدت الكنيسة بقوة جبارة كان لابد من متنفس ومخرج لها، هذا ما جعل بعض المؤرخين إلى القول بأن النزاع بين البابوية والإمبراطور إنما جاء نتيجة لتلك الطاقة، ولكنها لم تسع ذلك الصراع الداخلي إنما أخذت تبحث عنه خارجيا لتوجيه قدر من هذه الطاقة، وعند ذلك ظهرت فكرة الحرب الصليبية لتهيئ للغرب الأوروبي ميدانا واسعًا، مستغلة فيه نشاطه المكبوت[6] .

المطلب الثاني : دوافع الحروب الصليبية

إن الكثير من المؤرخين يجعل الباعث وراء الحروب الصليبية سببا واحدا وينكر ما دونه من دوافع، لكن هذا عكس الواقع وينافي خروج الكم الهائل من الناس الذين يمثلون عدة طبقات

---

[1] سعيد عاشور، **الحركة الصليبية**، ج 1، ص 19 .

[2] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 49 .

[3] **الأديرة الكلونية:** نسبة إلى دير كلوني في جنوب فرنسا الذي أنشأه وليم التقي دوق اكيتانيا 298هـ/910م ؛ للمزيد ينظر : سعد بن عبد الله البشري، **جماعات الفرسان الدينية الإسبانية و حروبها مع المسلمين في الأندلس**، مجلة جامعة أم القرى، ع 7، 1413هـ/1992م-93م، ص 187 .

[4] سعيد عاشور، المرجع نفسه، ص 20 .

[5] نفسه، ن ص .

[6] نفسه، ص ص 20 – 21 .

من المجتمع الأوروبي وعدة بلدان مختلفة والعديد من الأمراء والزعماء فضلا عن اختلاف اللغات واللهجات والمستويات الإجتماعية[1]، فمن هنا يتضح أن أسباب نشوب الحروب الصليبية متعددة ومتداخلة ومعقدة[2] .

أفلح البابا أوربان الثاني في الضرب على كل وتر حتى يقنع الجميع بالخروج في رحلة واحدة وهدف واحد، ومن هنا نستطيع أن نحدد دواعي خروج هذه الجموع المختلفة لشن الحملات الصليبية[3]، والتي تنقسم إلى أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية وشخصية وأدخل الغرب الأوروبي وعلى رأسه البابوية العامل الديني ودمجه بكل هذه الأسباب[4] .

أولا / الدافـع الإقتصـــادي :

إن أغلب المؤرخين المحدثين أكدوا أن العامل الاقتصادي هو الذي دفع فئات من مختلف طبقات أوروبا للمشاركة في الحركة الصليبية[5]، وقد عبر البابا أوربان في خطابه عن أهمية العامل الإقتصادي بالنسبة لواقع أوروبا آنذاك تمثل الحافز الاقتصادي في[6] :

– شراهة صغار نبلاء فرنسا والأراضي المنخفضة لاقتناء الأراضي، ورغبة الفلاحين بتلك البلاد في الفرار من مواطنهم القاسية الفقيرة ومن الفيضانات والمجاعات التي جرت في السنوات المتأخرة وفي الهجرة إلى بلاد تعج بالثروة الأسطورية[7] .

– كثرة الحروب المحلية بين الأمراء الإقطاعيين[8] والتي لم تنجح الكنيسة أو الملوك في وقفها، مما أضر بالتجارة وطرقها والزراعة وحقولها أبلغ الضرر، وهكذا جاءت الحروب الصليبية لتفتح

---

[1] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص ص 60 – 61 .

[2] أحمد بن خيرة، المرجع السابق، ص 69 .

[3] راغب السرجاني، المرجع نفسه، ص 61 .

[4] محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية**، ص 17.

[5] سعيد عاشور، **أضواء**، ص 11 .

[6] أحمد بن خيرة، المرجع نفسه، ص 73 .

[7] ستيفن رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية المغول و المماليك و نهاية الشرق الفرنجي**، تر : السيد الباز العريني مج 3، د ط، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م، ص 208 .

[8] أحمد بن خيرة، نفسه، ن ص .

أمام أولئك البسطاء والفقراء في غرب أوروبا بابا جديدا للهجرة وطريقا للخلاص من الأوضاع الإقتصادية الصعبة التي عاشوا فيها داخل أوطانهم[1] .

– كما دفعت المصالح الإقتصادية الخاصة بالمدن الإيطالية كالبندقية وجنوى وبيزا وأمالفي وغيرها من البلدان للمساهمة في الحروب الصليبية، كذلك استمرت هذه المدن في الحفاظ على علاقاتها التجارية مع القسطنطينية ومارست التجارة على طول البحر الأبيض المتوسط مع مرسيليا وناربون وبرشلونة وتصدت أساطيل جنوى وبيزا لهجمات المسلمين البحرية على شواطئهما، كما فرضت البندقية وجنوى نفسيهما على تجارة البحر الأبيض ثم تحولت هذه المدن إلى جمهوريات مستقلة غير خاضعة لسلطة الكنيسة[2] .

كما حرصت للحصول على منتجات الشرق بأسعار رخيصة وبطريق مباشر دون وسيط وذلك عن طريق تأسيس مستودعات تجارية كبيرة في شرقي البحر الأبيض المتوسط[3]، ومقابل هذه الإمتيازات قدمت مدن إيطاليا التجارية كثيرا من التسهيلات للمشتركين في الحروب الصليبية، كما قدمت سفنها لنقل الجنود والعتاد[4] من أوروبا إلى مسرح الحروب الصليبية في منطقة الشرق العربي[5] .

ورأت أن الحروب الصليبية فرصة لتحقيق أكبر قدر من المكاسب الذاتية على حساب البابوية والكنيسة والصليبيين جميعا، من خلال عقد المعاهدات مع القوى الصليبية في الشام حصلت بمقتضاها على امتيازات اقتصادية مهمة والفوز بثروة الشرق الإسلامي الطائلة، وأن ترث المسلمين في تجارة البحر الأبيض المتوسط أتاحت الحروب الصليبية لها أن تحقق هدفها[6]

---

[1] سعيد عاشور، **أضواء**، ص ص 34 – 35 .

[2] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 41 .

[3] أحمد الشامي، **تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى**، د ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 1045هـ/1985م، ص 63 .

[4] محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ن ص .

[5] أحمد الشامي، المرجع نفسه، ص 64 .

[6] محمد سهيل طقوش، نفسه، ن ص .

ثانيا / الدافـــع الدينـــي :

ذكر المؤرخ عبد الفتاح عاشور في كتابه أضواء أن مجموعة من مؤرخو الغرب قالوا بأن الحروب الصليبية حروب دينية مقدسة ومن أجل هذا الهدف الديني وحده حملوا الصليب وهجروا الأهل والأوطان[1]، حيث عم الغرب الأوروبي روح من الحماس الديني زادها قوة وأن سكانها خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي إحتاجوا إلى أرض جديدة ليتوسعون فيها ويزرعونها[2]، لذلك جاءت الدعوة إلى التوسع وبمباركة الكنيسة بمثابة الحل الأمثل لمشكلات الغرب الأوروبي[3] .

كما أن البابوية بلغت في القرن الحادي عشر للميلاد درجة خطيرة من القوة واتساع النفوذ[4]، مما فتح أمامها آفاقا واسعة لتجعل سلطاتها عالمية باعتبار البابا خليفة المسيح والقديس بطرس الزعيم الروحي لجميع المسيحيين في الشرق والغرب[5] .

و كان ذلك باسم تخليص القدس من أيدي المسلمين[6]، وفي السابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة (488هـ/ 1095م) ألقى البابا خطبته الشهيرة إعلانا لبدء الحروب الصليبية لتحرير فلسطين وبيت المقدس من أيدي المسلمين[7]، حضره كثير من رجال الدين والفرسان وشرح لهم حال المسيحيين في بيت المقدس وما يلاقيه الحجاج المسيحيون من المشاق والآلام، ودعا النصارى إلى حمل السلاح ولم يكد البابا يتم خطبته حتى أحاط به الآلاف من الناس وأقسموا

---

[1] سعيد عاشور، **أضواء**، ص 9 .

[2] حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، ص 267 .

[3] مصطفى وهبة، المرجع السابق، ص 13 .

[4] أحمد بن خيرة، المرجع السابق، ص 69 .

[5] سعيد عاشور، **الحركة الصليبية**، ج 1، ص 32 .

[6] سيد علي الحريري، **الأخبار السنية في الحروب الصليبية**، د ط، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1317هـ/1899م، ص 17 .

[7] ياسين سويد، **حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي**، ط 1، دار الملتقى للطباعة و النشر، بيروت، 1997م، ص 52.

الأيمان على أن يأخذوا بناصر دينهم فعلق البابا لكل من المتطوعين صليبا من الخشب على ذراعه الأيمن فأصبح هذا الصليب شعاراً للحرب[1] .

وأعلن عن سوء أحوال المسيحيين في البلاد الإسلامية في العصور الوسطى وما تعرضوا له من اضطهادات وحشية وكيف أن كنائسهم خُربت، وأديرتهم أغلقت وطقوسهم عطلت، فضلا عما لاقاه حجاج بيت المقدس المسيحيين من عقبات، وما تعرضوا له من معاملة سيئة من حكام البلاد الإسلامية التي مروا بها[2] نجح البابا في إلهاب حماس المحتشدين فعلت أصواتهم بعبارة تلك إرادة الله[3] .

و يضيف أحد كبار المؤرخين الأوروبيين أن حالات الاضطهاد الفردية التي تعرض لها المسيحيون في البلدان الإسلامية في الشرق الأدنى في القرن العاشر بالذات ولا يصح أن تتخذ بأي حال سببا حقيقيا للحركة الصليبية، لأن المسيحيين بوجه عام تمتعوا بقسط وافر من الحرية الدينية وغير الدينية في ظل الحكم الإسلامي فلم يسمح لهم فقط بالاحتفاظ بكنائسهم القديمة وإنما سمح لهم أيضا بتشييد كنائس وأديرة جديدة جمعوا في مكتباتها كتبًا دينية متنوعة في اللاهوت[4] .

و قد وعد البابا بأن كل من يقتل في الحرب تغفر له ذنوبه وأعفي السكان من الضرائب وأطلق سراح المسجونين وخفف أحكام الإعدام وعلى المحكوم عليهم بها، إذا خدموا طوال حياتهم في فلسطين[5]، وأي وازع ديني كان عند أولئك الغزاة الذين لم يحجموا عن ذبح سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى غداة سقوط بيت المقدس في أيديهم في سنة (491هـ/1099م)، بل أي وازع ديني كان عند أولئك الصليبيين عندما اقتحموا القسطنطينية سنة

---

[1] حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي العصر العباسي الثاني في الشرق و مصر و المغرب و الأندلس (447-656هـ/1055- 1258م)**، ط 14، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م، ص 232 .

[2] سعيد عاشور، **الحركة الصليبية**، ج 1، ص 28 .

[3] محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية**، ص 22 .

[4] سعيد عاشور، المرجع نفسه، ص 30 .

[5] محمود سعيد عمران، المرجع نفسه، ص 25 .

(600هـ/1204م)[1]، لينهبوا كنائسها، ويسرقوا أديرتها، ويعتدوا على أهلها بالقتل والضرب، وهم جميعا إخوانهم في الدين[2] .

إذاً نرى أن هذه الأدلة تقودنا إلى حقيقة هدفها أن هذا الدافع يختبئ وراء ستار دوافع أخرى، فبذلك لعبت خطابات البابوية دورا كبيرا في إشعال لهيب الحماس في نفوس الغرب الأوروبي للمشاركة في هذه الحروب[3] .

ثالثا / الدافــع الإجتمــاعي :

إن النظام الإقتصادي الذي ساد أوروبا في القرن الحادي عشر للميلاد خاصة انجلترا وفرنسا وغربي ألمانيا[4]، قضى بأن تعيش الغالبية العظمى من الفلاحين والأقنان والعامة ذليلة تحت سيطرة أقلية مكونة من الأمراء والفرسان الإقطاعيين[5] وقد وقعوا تحت وطأة الطبيعة التي كانت تقذفهم بنقص المحاصيل والمجاعات والأوبئة بين الحين والآخر[6] لا سيما شمال فرنسا وغرب ألمانيا[7] .

غالبا ما أدت الأوبئة في فرنسا إلى قيام الناس هناك بالزيارات الجماعية إلى الأماكن المقدسة، ويبدوا أن أوربان قد اتخذ خطوات من أجل تخفيف المعاناة التي أحدثها المرض إبان زيارته لفرنسا، ولابد أنه كان على دراية باحتمال وجود استجابة جماعية بل وحتى هستيرية لدعوته[8]، لذلك وحدت الدعوة التي دعاها البابا أوربان الثاني لشن حرب صليبية ضد المسلمين

---

[1] سعيد عاشور، **أضواء**، ص 10 .

[2] سعيد عاشور، **الحركة الصليبية**، ج 1، ص 33 .

[3] أحمد بن خيرة، المرجع السابق، ص ص 209 – 211 ؛ ينظر الملحق رقم (2) .

[4] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 39 .

[5] سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 1، ص 12 .

[6] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 55 .

[7] مصطفى وهبه، المرجع السابق، ص 10 .

[8] جوناتان ريلي. سميث، **الحملة الصليبية الأولى و فكرة الحروب الصليبية**، تر : محمد فتحي الشاعر، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب ن، 1999م، ص 69 .

تربة خصبة عنت وترعرعت فيها[1] فقد كانت الأزمة طاحنة في أواخر القرن الحادي عشر الأمر الذي أدى إلى قلة القوت وارتفاع الأسعار واشتداد الجوع حتى اضطر الفقراء إلى أكل العشب والحشائش[2] .

فقد انتشرت في هذا العصر التنبؤات بقرب ظهور السيد المسيح مرة أخرى وكان على كل شخص مسيحي أن يسرع بالتوبة قبل ضياع الفرصة، وقد قالت الكنيسة بإمكان تحقيق ذلك بالاشتراك في الحج والحرب الصليبية المقدسة[3]، فرأى الفلاحون والفقراء في الحملات الصليبية فرصة لخلاصهم الدنيوي الأخروي فاستجابوا بسرعة وبشكل كبير لدعوة البابا لهم كي يغزو المشرق العربي[4] .

فيبدو هنا كما فسرها المؤرخ عاشور أنه لو تيسرت لتلك الجموع في بلادهم حياة حرة وكريمة لما تركوا أوطانهم بسبب وعود خيالية أسرفت وبالغت الكنيسة في تقديمها، وهذا دليل على انعكاس الحالة الإجتماعية لهذه الشعوب الأوروبية[5] .

خامسا / الدافـع السيـاسـي :

إذا كانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي تسببت في الحرمان والذل والهوان دفعت الغالبية الساحقة من الصليبيين إلى الترحيب بالدعوة الجديدة والمشاركة في الحركة الصليبية بحثا عن حياة أفضل، إذًا فمشاركة ملوك أوروبا وأمرائها وفرسانها لها ما يبررها في الانضمام لهذه الحروب[6] .

فثبت التاريخ أن ملوك غرب أوروبا مثل "فريديريك بربروسا" و"ريتشارد" قلب الأسد و"فيليب أوغسطس" و"فريديريك الثاني" خرجوا لمحاربة المسلمين بضغط البابوية وإلحاحها

---

[1] مصطفى وهبه، المرجع السابق، ص 10 .

[2] سعيد عاشور، **أضواء**، ص 11 .

[3] أحمد بن خيرة، المرجع السابق، ص 75 .

[4] مصطفى وهبه، المرجع نفسه، ص 12 .

[5] سعيد عاشور، **الحركة الصليبية**، ج 1، ص 40 .

[6] نفسه، ن ص .

وتهديدها، لكن الحكم بعيدا عن الصحة في حالة واحدة هي حالة "لويس التاسع"[1] ملك فرنسا الذي اشتهر بورعه وتقواه وتدينه حتى لقبه معاصروه بالقديس والذي أراد أن يعبر عن حماسته الدينية تعبيرا عمليا بالمشاركة في الحركة الصليبية مشاركة فعالة[2].

أما الأمراء الذين أسهموا في الحركة الصليبية فمعظمهم كان يسعى وراء أطماع سياسية لم يستطيعوا إخفاءها قبل وصولهم إلى الشام وبعد استقرارهم فيها[3]، وقد أدت طبيعة النظام الإقطاعي في الغرب الأوروبي إلى وجود عدد كبير من الفرسان والأمراء بدون أرض بسبب توريث الإقطاع وهي أن الإبن الأكبر وحده كان له حق الإستئثار بوراثة الإقطاع[4]، فأصبحت نسبة كبيرة من أمراء غرب أوروبا وفرسانها فكروا في المشاركة في الحركة الصليبية طمعا في تحقيق جاه دنيوي أو نفوذ سياسي لأن مكانة كل أمير أو فارس تتجدد لما يتحكم فيه من أرض، طمعا في تأسيس إمارات لأنفسهم في الشرق والإستيلاء على أرض تعوضهم عن سوء موقفهم في الغرب[5] .

كما أن ملوك أوروبا كانوا يرون أن الدولة البيزنطية دخلت طورا واضحا من أطوار الضعف ولو سقطت فإن هذا يعني فتح الباب الشرقي لأوروبا لقوات المسلمين العسكرية إن كانوا من السلاجقة أوغيرهم وهذا ما يضعهم بين كفي كماشة، أي المسلمين القادمين من الشرق والمسلمين في أرض الأندلس فبالرغم من تباطؤ الملوك في بداية الحملات إلا أنهم تسارعوا بعد ذلك للمشاركة بل يذهب بعضهم بنفسه إلى أرض فلسطين ومصر على قيادة جيوشه[6] .

---

[1] سعيد عاشور، **الحركة الصليبية**، ج 1، ص 40 .

[2] نفسه، ص 41 .

[3] نفسه، ص 41 .

[4] سعيد عاشور، **أوروبا العصور الوسطى النظم و الحضارة**، ج 2، ص 50 .

[5] سعيد عاشور، **أضواء**، ص ص 11 – 14 .

[6] راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 64 .

سادسا / الـدافع الشخصـي :

إبتكرت الكنيسة الحرب الصليبية الأولى التي أطلقت عليها إسم "الحرب المقدسة" على غرار بقية الحروب الصليبية الأخرى لتبرير وتحقيق المصالح والمطامع التي كان الباباوات يهدفون إليها والتي كانت مخالفة لأغراض الكنيسة، ومعنى أن الأغراض الشخصية للبابوات ساقت المسيحيين لخوض غمار هذه الحروب تحت ستار من الدين وبواجهة تحمل إسم الكنيسة[1].

ومن المظاهر الشخصية التي تدلنا على أن البابوية أخذت تعمل على تحويل الحروب الإقطاعية الخاصة لصالحها ثم وجهت هؤلاء المحاربين وكانوا من الفرسان إلى الانخراط في سلك الحروب الصليبية واعتبرت ذلك مرحلة من مراحل الإصلاح الديني للمقاتلين العلمانيين[2]، كما أن البابا أراد استغلال الميول العسكرية لفرسان الغرب وتوظيفها في خدمة البابوية بحيث تتحقق سيادتها على الإمبراطورية وتسمو الكنيسة في الوقت نفسه[3].

إن الدوافع الحقيقية وراء نشوب الحروب الصليبية مرتبطة بمعرفة أوضاع غرب أوروبا في كل الميادين خلال القرن الخامس للميلاد، ثم ربطها بأهدافها الحقيقية .

المبحث الثاني : نشاط حركة التنصير ومشاريع الغرب المسيحي للسيطرة على بلاد المغرب

المطلب الأول : نشاط حركة التنصير في شمال إفريقية

إن جذور حركة التنصير في شمال إفريقية لم تظهر فجأة في القرن (السابع هجري/الثالث عشر للميلاد)، بل إنها تعود إلى ما قبل ذلك الوقت بكثير بيد أن المسيحية كانت مزدهرة في إفريقية قبل الفتح الإسلامي لها وأنها مثلت إحدى المراكز الهامة لهذه الديانة، لذا كانت تتحين

[1] أحمد الشامي، المرجع السابق، ص ص 65 – 66 .

[2] نفسه، ن ص .

[3] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 37 – 38 .

الفرصة دائما لبعث أمجاد المسيحية فيه من جديد، فحالة الضعف التي سادت أواسط القرن (الحادي عشر للميلاد) قد هيأت الفرصة للبابوية لتنفيذ مخططاتها[1] .

كانت بداية نشاط هذه الحركة بناءا على الرسالتين المرسلين من طرف البابا جريجوري السابع في سنتي (465-468هـ/1073-1076م) إلى مسيحيي بونة (عنابة) وخاصة الرسالة الثانية[2] يطلب من هؤولاء المسيحيين أن يصبحوا منصرين ويبثوا الدعوة المسيحية بين المسلمين[3].

كما بنت المسيحية آمالها على[4] النورمان[5] الذين احتلوا صقلية وبدأ تطلعهم للاستيلاء على الشمال الإفريقي لتنصيره ولكن بظهور الموحدين استطاعوا التصدي للنورمان وطردهم من المهدية جعل الظروف غير مواتية لاستئناف الجهود التنصيرية فيها، وما إن دب الضعف في الدولة الموحدية منذ أوائل القرن (السابع هجري/الثالث عشر للميلاد)، حتى عادت الحركة الصليبية لإحياء جهودها التنصيرية في إفريقية معتمدة على جهود منظمتي[6] الفرنسيسكان[7] والدومنيكان[8] المتوافدين لإفريقيا لتحقيق هذا الهدف[9] .

---

[1] ممدوح حسين، ومصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 403 .

[2] نفسه، ن ص .

[3] منى أحمد فاخر النائب، **الحملات الفرنجية (الصليبية) ضد شمال إفريقية (668- 793هـ/1270-1390م)**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في تاريخ العرب و الإسلام، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق 1433هـ/ 2012م، ص 123 .

[4] ممدوح حسين، ومصطفى شاكر، نفسه، ص 405 .

[5] **النورمان** : إسم أطلقه المؤرخون على أهل الشمال "الفايكنغ" الغزاة القادمين من جهة البحار الإسكندنافية في القرن "8 م" إحتلوا شواطيء أوروبا ... ؛ للمزيد ينظر : مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية**، ط 1، مؤسسة الرسالة، د د ن، بيروت، 1416هـ/1996م، ص 427 .

[6] ممدوح حسين و مصطفى شاكر، نفسه، ص 405 .

[7] **الفرنسيسكان:** هي رهبنة في الكنيسة الكاثوليكية، تأسست على يد القديس فرنسيس الأسيزي في شمال إيطاليا في القرن 13م عام(1208م) ... ؛ للمزيد ينظر : **https://ar.wikipedia.org/wiki**، بتاريخ، 2017/05/22، بتوقيت، 10:00 h

[8] **الدومنيكان:** هم أعضاء في رهبانية الواعظين في الكنيسة الكاثوليكية، تأسست سنة (1214م) من قبل القديس دومينيك لغرض التصدي من خلال الوعظ و التدريس... ؛ للمزيد ينظر : **http://mb-soft.com/believe/tah/dominic.htm**، بتاريخ، 2017/05/22، بتوقيت، 10:00 h .

[9] ممدوح حسين و مصطفى شاكر، نفسه، ص 405 .

و من بين أولئك الرهبان فرانسيس الأسوزي (سان فرانسوا) الذي قابل ألفونسوا الثامن ملك قشتالة في سنة (609هـ/ 1213م) لمساعدته على السفر إلى بلدان المغرب الإسلامي وكان يأمل في تنصير عاهل الدولة الموحدية، ولكن مرضه اضطره لتغيير خططه والعودة إلى ايطاليا وكان فرانسيس هذا قسم العالم الغير مسيحي سنة (615هـ/1219م) إلى سبعة أقسام ووزع عليها رهبان منظمته للعمل على تنصيرها[1]، وبهذا تشكلت خمس بعثات تنصيرية أرسلت إلى كل من اسبانيا والمغرب الأقصى وإفريقية وهنغاريا في حين ترأس بنفسه البعثة المتجهة إلى مصر والشام، أما البعثة التي أرسلت إلى إفريقية برئاسة الراهب جيلز الأسيزي قد أفرطت في الدعوة للمسيحية بين المسلمين مما أثارهم عليه، فاضطر مسيحيو إفريقية لإجبارهم على مغادرة البلاد[2].

ومن المنصرين أيضا حنادي ماتا (يوحنا متا) الذي زار إفريقية مرات عديدة وأسس في تونس كنيسة صغيرة ومستشفى صغير[3]. ومن الجدير بالذكر أن الحركة التنصيرية استأنفت نشاطها مستغلة تسامح أبي زكريا الأول وفترة الانتقال من تبعية إفريقية للدولة الموحدية إلى الاستقلال عنها وتأسيس الدولة الحفصية[4]، ثم رغبة عبد العزيز الحفصي في التنصر، ففي سنة (633هـ/1236م) هرب عبد العزيز ابن أخ الأمير أبي زكريا الأول الحفصي من إفريقية إلى صقلية ويقال أنه في طريقه إلى التنصر على يد البابا أوقفه فريدريك الثاني في صقلية[5] وحال دون متابعة سيره إلى روما، وما إن أقام عبد العزيز في صقلية بعض الوقت حتى صرف نظره عن فكرة التنصر[6] .

---

[1] روبار برنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، تر : حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 487 .

[2] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 407 .

[3] روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ص 484 .

[4] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 124 .

[5] روبار برنشفيك، نفسه، ص 493 .

[6] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص 409 .

وفي آواخر العقد الرابع من القرن الثالث عشر للميلاد أظهر البابا الإسكندر الرابع ميله لدعم جهود المنصرين الدومنيكان في إفريقية في رسالة بعث بها إلى رئيس تلك المنظمة يأمره بإرسال المزيد من هؤلاء إليها، وقد جرت اتصالات بين الدومنيكان وخايمي الأول ملك أرغونة الذي اتصل بالمستنصر الحفصي وطلب منه السماح للدومنيكان بتأسيس مدرسة في مدينة تونس لتعلم الرهبان اللغة العربية، فوافق على ذلك[1] .

و عند استلام همبرت الرومانسي رئاسة منظمة الدومنيكان سنة (651هـ/1254م) أخذ في تعزيز المنصرين الدومنيكان في إفريقية ببعثات تنصيرية جديدة أرسلها إليها، ثم توجهت هذه الجهود بظهور منصر آخر يعد من أشهر المنصرين في القرن الثالث عشر للميلاد وهو رومان مارتي الملقب بخنجر الإيمان المسلول على المسلمين واليهود (627-684هـ/1230-1286م) القطلاني الأصل، فانظم إلى منظمة الدومنيكان ثم أرسل إلى تونس حيث تعلم اللغة العربية وكان على صلة بالمستنصر كما كان على اتصال بلويس التاسع ملك فرنسا الذي يعتقد أن اتجاهه إلى إفريقية كان بوحي منه لتنصير سلطانها[2] .

ولابد من الإشارة أيضا إلى نشاط رهبان منظمة "عذراء الرحمة" الذين كانوا يجوبون أرجاء المغرب بحثا عن الأسرى ويمارسون نشاطهم التنصيري[3] ، ثم جاءت معاهدة الصلح بين لويس والمستنصر(669هـ/1270م) لتفتح أمام القائمين على هذه الحركة لبدل المزيد من الجهود التنصيرية[4].

[1] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص ص 489 – 490 .

[2] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 412 – 414 .

[3] روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ص ص 485 – 487 .

[4] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص 415 .

المطلب الثاني : مشاريع الغرب المسيحي للسيطرة على بلاد المغرب

أولا/ مشروع هيثوم (HETOUM) :

وهو أمير أرميني من (كرشي) وهي ثغر بحري على الشاطئ الجنوبي لأسيا الصغرى بإزاء جزيرة قبرص، وعندما فتحت جيوش المماليك بلاده فر منها، لاجئا إلى البابا كلمنت الخامس، ثم رحل[1] إلى فرنسا وأضحى مقدم دير في برايمونسترانت قرب بواتييه[2].

ونظرا لكون هيثوم أحد المختصين بشؤون الشرق والمطلعين على أوضاعه فقد كلفه البابا كلمنت الخامس بإعداد دراسة وافية عن متطلبات الحملة التي أعلن فيليب الرابع ملك فرنسا عن رغبته في القيام بها وطريق سيرها[3].

ألف هيثوم كتابه في سنة (706هـ/1307م) المعروف باسم (FLOS HISTORIORUM TERRE ORIENTIS)[4] كتبه باللاتينية وضمنه مشروعه لاسترداد الأراضي المقدسة[5]، أوصى هيثوم بتوجيه حملة مزدوجة تسير بحرا[6]، ورأى أن تسلك الحملة إحدى الطرق التالية : إما الطريق البري، أو البحري، ثم يذكر إفريقية كطريق ثالث لهذه الحملة ويرى بالنسبة لسلوك هذا الطريق ضرورة استشارة المختصين في شؤون إفريقية لتقديم معلومات وافية عنه نظرا لأنه لم يكن لديه الإطلاع الكافي الذي يتيح له إبداء رأيه في هذا الطريق، وبذكره إفريقية في مشروعه بعث الحياة إلى فكرة لويس التاسع من جديد مما جعلها تظهر في مشاريع صليبية تالية بشكل أوضح[7] .

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 364 – 365 .

[2] ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 727 .

[3] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص365 .

[4] ستيفن رنسيمان، المرجع نفسه، ن ص .

[5] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، نفسه، ص 365 .

[6] ستيفن رنسيمان، نفسه، ن ص .

[7] ممدوح حسين، و مصطفى، نفسه، ص 365 .

ثانيا/ مشروع رامول لول (RAMOL LULL) :

قد وصلت الجهود التنصيرية ذروتها بوصول الراهب الفرنسيسكي رامول لول إلى إفريقية آواخر القرن (السابع الهجري/الثالث عشر للميلاد)، والذي يعد من أهم دعاة التنصير في العصور الوسطى الذي قام بدور البطولة في تلك المحاولات المتجددة لغرس الديانة المسيحية من جديد في صفوف سكان البلاد المغربية[1]ولد في ميورقا[2]سنة (629هـ/1232م)[3].

و قد عاصر فترة ضعف الصليبيين ثم انهيار دولتهم في بلاد الشام فتملكته فكرة وضع نفسه في خدمة الحركة الصليبية اتخذ هذا القرار سنة (661هـ/1263م) ، ومن أجل تحقيق ذلك تعلم اللغة العربية اللازمة له لمناظرة المسلمين ونقل حججه وآرائه إليهم مباشرة[4] .

فأجاد التفاهم بها وفعلا قام بمهمته التبشيرية الأولى في شمال إفريقية سنة (690هـ/1292م) وعند وصوله إلى تونس[5] أخذ في نشر دعوته علانية حول مبادئ العقيدة المسيحية ولم يلبث أن إتهم رامول لول بلاد الحفصيين بالشرك والحض على الكفر، فحكم عليه بالإعدام[6]، لولا تدخل مثقف حكيم من الأهالي لحكم عليه بالإعدام [7].

وأشعر بقرار الطرد الذي اتخذ ضده وهدد بالرجم فغادر البلاد على مركب جنوي[8]، ويبدوا أن الفشل الذي صادفه مرات عديدة كان له تأثير قوي على نفسه بدا واضحا في كتابه المسمى "كتاب النهاية" الذي يحوي بالتفصيل أفكاره وعرض منهجا يصح ممارسته من الناحية العملية[9]، وكان برنامجه لا ينفي أبدا احتمال التدخل العسكري بل بالعكس من ذلك فقد كان يرى وجوب

---

[1] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 490 .

[2] ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 724 .

[3] سوريال عطية، المرجع السابق، ص 83 .

[4] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص365 – 418 من هنا و هناك .

[5] نفسه، ص ص 421 – 422 .

[6] سعيد عاشور، **أوروبا العصور الوسطى النظم و الحضارة**، ج 2، ، ص 67 .

[7] روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ص 491 .

[8] نفسه، ن ص.

[9] ستيفن رنسيمان، المرجع نفسه، ن ص .

الاستعداد للكفاح المسلح ضد المسلمين بوسائل خاصة ولكنه بوصفه رجل علم كان يرى أن مهمته هو وأتباعه تتمثل في الدعاية السلمية ضد العقيدة الإسلامية وتعاليم علمائها[1]، نلاحظ أن رامول لول يجمع بين الأسلوب العسكري والسلمي أي وجهين لعملة واحدة .

كما احتوى كتابه على مشروع صليبي متكامل هو خلاصة آرائه ومقترحاته وتناول الطرق التي يمكن للحملة سلوكها للوصول إلى الديار المقدسة ويحددها بخمسة طرق[2] .

ولم يرجع لول إلى بلاد المغرب إلا بعد خمسة عشرة سنة[3]، فنزل ببجاية في سنة (706هـ/1307م) واستمر يعمل بها على خطته المعهودة في نشر دعوته التبشيرية معلنا عداوته للإسلام فطرد منها ثم عاد إليها مرتين وتوفي وهو على ظهر سفينة عائدا منها إلى بلده مايورقة يوم 17 ربيع الأول (715هـ/1315م)[4].

ثالثا/ مشروع بروكارد (BRUCARD):

لقد بلغت الحماسة الدينية لدى الملوك الذين اعتلوا عرش فرنسا في العقود الأولى من القرن الرابع عشر للميلاد، ومنهم فيليب السادس دي فالوا (728-750هـ/1328-1350م)[5] فقد كان متلهفا لاستئناف الحرب الصليبية ضد المسلمين فضلا عن أنها لقيت التشجيع من البابا يوحنا الثاني[6] جراء هذا الحماس والرغبة[7] وفي ذلك أصدر مرسومين فالأول يتضمن دفع ضريبة

---

[1] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 490 .

[2] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 367 – 369 ؛ ينظر : الملحق رقم(3).

[3] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 491 .

[4] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 109 .

[5] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص 372 .

[6] ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 738 .

[7] و عن الحماس و الرغبة الشديدة لهذا الملك يذكر المؤرخ المقريزي في حوادث سنة ثلاثين و سبعمائة : "و في خامس عشرة قدمت رسل ريدا فرانس (ملك فرنسا فيليب السادس) في طلب القدس و بلاد الساحل ... فأنكر السلطان عليهم و على مرسلهم و أهانهم، ثم رسم بعودهم إلى بلادهم" ؛ ينظر: المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك سنة 718هـ – 745هـ**، تح : محمد عبد القادر عطا، ج 3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م، ص 129 .

العشر لتمويل الحملة، والثاني يمنحه وكافة المشاركين جميع الصلاحيات والإمتيازات التي تمنح لقادة الحملات عادة[1] .

وعند شيوع خبر الحملة في أوروبا الغربية تقدم العديد من المختصين بتقارير إلى الملك الفرنسي ليستفيد منها ومن هؤولاء بروكارد[2] الذي أمضى في المشرق مدة أربع وعشرين سنة امتدت من (707-732هـ/1308- 1332م)[3] .

وقد تضمن تقريره مقدمة يصف فيها سرور نصارى الغرب وغبطتهم لسماعهم بأن الملك الفرنسي قد قرر أن يحمل راية المسيح ليحارب أعداءه ويسترد الديار المقدسة ثم يقول أنه لا يملك شيئا لتقديم المساعدة في تلك الحرب، إلا أنه بإمكانه تقديم المعلومات والنصائح التي تفيد الملك في هذه الحرب وبعدها يأتي على القسم الأول من التقرير يعدد أهداف الحركة الصليبية[4] .

و يتطرق بروكارد بعد ذلك لدراسة الطرق المؤدية إلى الشرق فيعدد أربع طرق رئيسية منها الطريق عبر إفريقية إلا أن بروكارد مع ذكره لهذا الطريق الذي يؤدي إلى المشرق لكنه على عكس رامول لول[5]، فلم يحبذ استخدامه فهو يرى أن هذا الطريق شاق وطويل[6] .

و فسر بروكارد طول الطريق يؤدي حتما إلى الدخول في حروب كثيرة ومريرة ضد المماليك الإسلامية التي تمر منها، فضلا عن مواجهة القلاع والمدن الحصينة الكثيرة في كل من المغربين الأقصى والأوسط وإفريقية، وحتى لو نجحت الحملة في التغلب على هاته العقبة وهو أمر مستبعد كما يقول، فسيكون صعب عليها إجتياز الصحراء الليبية القاحلة التي يصعب على المخلوقات تحمل قسوتها، وإن كان كذلك فبوصولها إلى وادي النيل فإنها ستجد سلطان

---

[1] ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 738 .

[2] نفسه، ن ص .

[3] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 372 – 373 .

[4] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 372 – 373 .

[5] نفسه، ص 374 .

[6] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 129 .

مصر قد أعد عدته لمواجهتها وسحقها، لذلك يعتقد أنه هناك أمل في نجاح هذه الحملة وبناءا على هذه المعطيات يرى أنه ليس هناك مبرر لحملة لويس التاسع على إفريقية[1] ، و على الرغم من وفرة اقتراحات بروكارد فإنها لم تكن بالغة النفع ولم توضع خططه للإختبار[2]

رابعا/ مشروع فيليب دي ميزيير (PHILIPPE DE MEZIERES) :

ولد فيليب دي ميزيير ما بين سنة (726هـ-1326 أو1327م) في مقاطعة بيكاردية، و في قبرص التقى مزيير بداعية صليبي وهو بطرس دي توماس[3] وكان مزيير قد اشترك معه في نشاطه الصليبي[4]، كما عمل مستشارا لديه[5]، وقد قضى فيليب سنوات عمره الأخيرة في الكتابة من أجل الدعوة لخططه الدينية العسكرية والتي أطلق عليها اسم " militia passionis jhesu christi"، وكان يحلم بخلق إخاء عسكري موحد في كل أنحاء أوروبا أملا في استرداد الأرض المقدسة[6] .

كما ضم مشروعه الصليبي في كتابه المسمى "songe du vieil pelerim" الذي ألفه سنة (780هـ/1379م)، حيث تناول فيه طريق إفريقية واقترح على الصليبيين سلوكها للوصول إلى المشرق[7] وذلك باتباع كل فريق من الفرنجة طريقا معينا للوصول إلى الشرق بحيث يجب أن يكون الطريق الذي يسلكه صليبيو إسبانيا وأراغونة ونافارا هو طريق شمال إفريقية[8] .

و الملاحظ هنا أن هذا الاقتراح يصيب هدفين، فالأول ضرب المسلمين في عدة جبهات في آن واحد والثاني نتيجة للأول أي بذلك يتم تشتيت قوى المسلمين، فينشغل كل بلد إسلامي بما يحيط به من خطر، مما يسهل على الصليبيين الإنتصار عليهم، ولكن هذه الإقتراحات

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 374 .

[2] ستيفن رانسيمان، المرجع السابق، ص 738 .

[3] نفسه، ص 377 .

[4] نفسه، ص 342 .

[5] بيترو. إديوري، **قبرص و الحروب الصليبية**، ط 1، دار الملتقى للطباعة و النشر، بيروت، 1997م، ص 138 .

[6] عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص 90 .

[7] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص ص 378 – 379 .

[8] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 129 .

والأفكار لدى فيليب دي مزيير لم تنفذ إلا ما تعلق بإفريقية، ففي العام التالي وضع هذا المشروع سنة (792هـ/1390م) قام لويس الثاني دي بورمون بحملة على المهدية[1] .

خامسا/ مشروع شارل الثاني :

في غمرة الجهود التي بذلها البابا نيقولا الرابع لإعداد حملة صليبية جديدة إثر سقوط عكا بيد المسلمين سنة (689هـ/1291م) تقدم شارل الثاني إلى ذلك البابا بالمشروع الصليبي الذي عرف باسمه والذي قام على دعامتين رئيسيتين أولاهما استرجاع إمبراطورية حميه في القسطنطينية، والثانية هي العدول عن قتال المسلمين بالسيف إلى محاربتهم اقتصاديا وتعميم هذه الحروب على كافة البلاد الإسلامية [2].

ففي اعتقاده أن نزول الجيوش الأوروبية على بلاد المسلمين تقع تحت تأثير المناخ القاسي والذي سيؤدي بدوره إلى فشلهم[3] ولذلك يرى أن الأجدر والأولى قطع الطريق على تجارة المسلمين وإعداد الأساطيل اللازمة لهذا الغرض تكون خاضعة لقيادة موحدة حتى إذا ما كسدت تجارتهم وانهاروا اقتصاديا فسوف لن تكون لديهم القدرة على مدافعة الصليبيين عن بلادهم، وإذا كان شارل الثاني لم يخصص إفريقية بالذات في هذا المشروع بل كان هدفه تعميم الحصار على المسلمين، فبمراجعة بسيطة لنوايا حكام الصقليين تجاه إفريقية ومطامعهم فيها منذ عهد النورمان وحتى نهاية العصور الوسطى يتضح أنها أولى البلاد الإسلامية المعنية بهذا الحصار[4] .

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 379 – 380 .

[2] نفسه، ص 381 .

[3] نفسه، ن ص .

[4] نفسه، ص ص381 – 382 .

سادسا/ مشروع مارينو سانودو (MARINO SANUDO) :

كان مارينو سانودو الأكبر(672هـ-743هـ/1274-1343م) مفكرا عاقلا قضى معظم حياته في الشرق وكان من سلالة ناكسوس دون البندقية في الأرخبيل وجل مناقشاته مبنية على مستوى عال من الإعتبارات الإقتصادية[1].

وقد اعتبرت أفكار مارينو أكثر وضوحا من شارل الثاني فقد أعد مشروعه الذي ضمن فرض الحصار الإقتصادي على إفريقية[2] في كتاب سماه "سر الصليبية المخلص" وأهدى الطبعة الأولى منه للبابا كليمنت الخامس في سنة (708هـ/1309م) كما أهدى الطبعة الثانية لملك فرنسا شارل الرابع[3] .

لقد عالج سانودو في هذا الكتاب أمر تشكيل حملة صليبية ناجحة فوضع مسألة إضعاف دولة المماليك إقتصاديا في المقام الأول[4] ولن يتحقق ذلك إلا بتواجد أسطول قوي أمام سواحلها لفرض الحصار وتعميمه[5] ليشمل إفريقية ومملكة غرناطة وسلطنة الأتراك هذا من ناحية[6]، ومن ناحية ثانية رأى أنه من الضروري التخلي عن أسواق المسلمين[7] واتباع سياسة إنتاج السلع كالقطن مثلا الذي يزرع في مصر يمكن الاستغناء عنه بزرعه في قبرص ورودس ومالطة وغيرها، وبذلك يضعف أمر المسلمين ويصبح الاستيلاء على بلادهم بالقوة العسكرية أمرا يسيرا[8].

والملاحظ هنا أن مارينو لم يستثن من مشروعه استعمال القوة العسكرية أي أنه جعل نجاح الحصار الإقتصادي أساس ضمان فكرة القوة العسكرية في تحقيق أهدافها، ففيما يتعلق بإفريقية في هذه الناحية يتفق سانودو مع رامول لول في أن قسما من الحملة الصليبية المرتقبة

---

[1] عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص 85 .

[2] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 382 .

[3] عزيز سوريال عطية، المرجع نفسه، ص 86 .

[4] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، نفسه، ص ص 382 – 383 .

[5] عزيز سوريال عطية، نفسه، ن ص .

[6] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، نفسه، ص 383 .

[7] عزيز سوريال عطية، نفسه، ن ص .

[8] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، نفسه، ص ص 383 – 385 .

يجب أن يبدأ زحفه من الأندلس برا وبحرا، ثم يعبروا مضيق جبل طارق إلى سبتة ومنها إلى إفريقية التي تكون قد ضعفت عن المقاومة بالحصار المفروض عليها ومرورا بتلمسان وبذلك يتم الإستيلاء على إفريقية، وظل يعمل بنشاط في سبيل ذلك إلى أن توفي سنة (743هـ/1343م) دون تحقيق أهدافه من هذا المشروع[1] .

و نستنتج مما سبق أن الظروف والأوضاع التي مرت بها شمال إفريقية أدت إلى انقلاب موازيين القوى لصالح الغرب المسيحي، فالصحوة التي شهدتها أوروبا أواخر القرن (الخامس هجري)على مختلف الأصعدة من جهة، وإصلاح الكنيسة من ناحية أخرى، فتح الباب على مصراعيه للغزو الصليبي باسم الدين والصليب، وهذا الدافع لم يكن إلا ستارا متخفيا وراء دوافع متعددة، فبالرغم مما قامت به جهود التنصير المكثفة بمباركة البابوية في شمال إفريقية ووضع المشاريع العسكرية والاقتصادية في سبيل إنجاح هذه الحركة، إلا أن هذه الجهود لم تسفر عن أي نتيجة .

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكرالمرجع السابق، ص ص 383 – 385 .

الفصـــل الثانـــي

الحملات الصليبية على شمال إفريقية من أواخر القرن (5-7هـ/11-13م)

المبحث الأول : هجوم القوى الصليبية على المهدية (480-517هـ/1087-1123م) واحتلال السواحل الإفريقية (537-543هـ/1142-1148م)

المطلب الأول : هجوم جنوى وبيزا على المهدية (480 هـ/1087 م)

المطلب الثاني : العدوان النورماني على المهدية (517هـ/1123م)

المطلب الثالث : إحتلال السواحل الإفريقية (537-543هـ/1142-1148م)

المبحث الثاني : صليبية لويس التاسع على إفريقية (668 هـ/1270 م)

المطلب الأول : تخطيط لويس التاسع للحملة ومسيرها إلى تونس

المطلب الثاني : إنطلاق الحملة

المطلب الثالث : الهزيمة وانسحاب الحملة

أدت الأوضاع التي سادت بلاد المغرب خلال فترة بنو زيري إلى قيام هجومات العدوان الصليبي، وزيادة نشاطه بداية من نهاية القرن (الخامس هجري/الحادي عشر للميلاد)، وقد تمثلت هذه الحملات في العدوان النورماني في صقلية بمشاركة المدن الإيطالية البحرية بيزا وجنوى على المهدية والسواحل الإفريقية، إلى (القرن السابع هجري/الثالث عشر للميلاد)و الذي تمثل في حملة لويس التاسع على إفريقية .

المبحث الأول : هجوم القوى الصليبية على المهدية (480-517هـ/1087-1123م) واحتلال سواحل إفريقية (537هـ-1142م/543هـ-1148م)

المطلب الأول : هجوم جنوى وبيزا على المهدية (480هـ/1087م)

أولا / بداية الهجوم :

عند دخول سنة (480هـ/ 1050م) نزلت قوات من بيزا وجنوى من النصارى على المهدية فاستولوا عليها وعلى زويلة[1]، وكان سبب ذلك أن الأمير تميم بن المعز بن باديس حاكم المهدية أكثر غزو بلادهم في البحر فخربها، مما اضطر هذه الدول التي تعرضت لاعتداءاته إلى الإتفاق فيما بينها للقيام بعمل مشترك بمباركة البابا، فأقاموا يعمرون الأسطول أربع سنين واجتمعوا بجزيرة قوصرة في أربعمائة قطعة[2] وكان عدد الروم ثلاثين ألف مقاتل[3].

فكتب أهالي قوصرة كتابا يذكرون أهالي المهدية بقدوم العدو وعددهم وحكمهم على الجزيرة[4] لكن هناك أسبابا أخرى فحسبما ذكر المؤرخ ممدوح حسين نقلا عن بعض المؤرخين أمثال "شاخت" و"أبو لافيا" أن تميم بن المعز سد أبواب المهدية في وجه التجار الإيطاليين وخاصة البيازنة، فهذا دليل أن السبب يصطدم مع الغرض الحقيقي لهذا الهجوم الذي كان هدفه صليبي محض[5].

---

[1] التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) (ت 717هـ/1320م)، **رحلة التجاني**، تق : حسن حسني عبد الوهاب، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس 1981 م، ص 331 .

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 455 .

[3] ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني) (ت أواخر القرن 11هـ/17م)، **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس**، ط 1، مطبعة الدولة التونسية، د ب ن، 1286م ، ص 85 .

[4] ابن الأثير، المصدر نفسه، ن ص .

[5] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 138 – 139 .

فقاموا بنهب المهدية وزويلة وأضرموا النار في البلاد، ويذكر ابن أبي دينار أن الأسباب التي سهلت دخول المهدية وزويلة قائلا:(غيبة الجند عن المهدية)[1]، حيث يوافقه التجاني وابن عذارى بعرض أسباب أخرى (مفاجأة الروم لهم، وعدم الإستعداد لهم وأخذ الأهبة للقائهم وخلو كافة الناس من الأسلحة والعدد وقصر الأسوار وتهدمها وتكذيب تميم لتلك الأخبار، وسوء تدبير عبد الله بن منكور متولي أمور الدولة ... مخالفة قائد الأسطول في الخروج إليهم للقائهم في الماء ومنعهم من النزول في البر)[2] .

نلاحظ هنا أن أول سبب والمتعلق بغيبة الجند، فربما قد يكون العسكر منشغل بمحاربة الثورات الداخلية والثائرين عن الحكم فالدليل ما ذكره ابن الأثير: (و كانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته)، أما القول بمفاجأة الروم لهم ينافي ما ذكره ابن الأثير أيضا عن أهالي قوصرة عند علمهم بوصول الروم أن كاتبوا إلى أهالي المهدية كتابا يخبرونهم بقدوم العدو وعددهم والحكم عليهم[3] .

كما أن السبب الآخر بقولهم عن المدينة أن أسوارها قصيرة ومهدمة فهذا غير صحيح فهي الدينة المشهورة بحصانتها ومنعتها فجل المصادر التاريخية وحتى الغربية تشهد بذلك، وبالنسبة لذكر الخلاف الذي نشب بين منكور وقائد الأسطول في الخروج إليهم ينافي حقيقة أن العسكر كان غائبا، فإن كان حقا فهل كانت لتكفي المقاومة الإسلامية القوة التي كانت في المهدية لدرجة عقد الصلح بينهما ؟ فربما الأرجح أن كثرة عددهم وعدتهم بالإضافة إلى بعض الأخطاء العسكرية التي وقع فيها المسلمون هي من ساهمت بشكل عام في تغلب النصارى[4] .

ثانيا / عقد الصلح :

[1] ابن أبي دينار المصدر السابق، ص 85 .

[2] التجاني، المصدر السابق، ص 331 ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 301 .

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 455 .

[4] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 142 - 143.

و قد لجأ تميم إلى قصر المهدي وأقام به حتى وقع الصلح بينه وبينهم بصلحهم على مال أخذوه[1] بلغ مائة ألف دينار[2] .

- و تضمن الصلح:
- إضافة إلى المال إعفاء البضائع المحملة على سفن بيزا من الجمارك[3] .
- ووافق على إطلاق سراح جميع الأسرى الموجودين لديه .
- و تعهد بعدم التعرض للسفن المتحالفة في المياه الإفريقية[4] .

و اعتبرت تلك الحملة بمثابة تمرين أولي للحملة الصليبية الأولى[5] .

المطلب الثاني : العدوان النورماني في صقلية على المهدية (517هـ/1087م)

بعد إخفاق المدن البحرية الإيطالية لغزو المهدية سنة (480هـ/1050م) أدركت القوى الصليبية أنه لابد من إيجاد قوى أخرى تمتلك قدرات وإمكانيات أكبر من التي سبقتها فأسندت المهمة لإحدى القوى الأوروبية الكبرى ألا وهي النورمان في صقلية[6]، فبعد وفاة ملكها رجار (495هـ/1101م) خلفه إبنه سيمون، لكنه توفي وتولى أخوه رجار الحكم باسم رجار الثاني (505هـ/1111م)[7]و الذي بدأ مخططه الصليبي تجاه شمال إفريقيا، واستخدم في حملاته شخصا يدعى جرجي الأنطاكي هذا الذي كان في خدمة تميم بن المعز فقد وثق به وجعل مصارف أموال الدولة بين يديه، ولكن بعد وفاة تميم تولى إبنه يحي بن تميم فأرسل جرجي إلى رجار الثاني يطلب منه الدخول في طاعته[8] .

---

[1] الباجي المسعودي (أبي عبد الله محمد)، **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، ط 2، د د ن، تونس، 1323م، ص 49 .

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 212 .

[3] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 254 .

[4] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 145 .

[5] عبد العظيم رمضان، المرجع نفسه، ن ص .

[6] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص ص 146 – 191 من هنا و هناك .

[7] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 26 .

[8] التجاني، المصدر السابق، ص 333 .

فيبدو أنه قدم عرضا أفضل للعمل في خدمة الحركة الصليبية، وفي هذه الأثناء توفي يحي بن تميم (509هـ/1116م)، وخلفه إبنه علي بن يحي (509-515هـ/1116- 1122م)[1] واغتنم رجار الفرصة للتدخل في أمور إفريقية، حيث وقعت الوحشة بينه وبين علي بن يحي بسبب أن رافع بن مكي صاحب قابس أنشأ سفينة، فلم يرض عليا أن ينافسه أحدا في نشاطه التجاري[2] .

فأرسل في منع السفينة من الإقلاع، وعندما علم رافع بذلك كتب لرجار يستصرخه ضد علي كما أن رافع استخدم الحيلة لجر رجار الثاني لمساعدته، حيث أخبره بأنه أنشأ السفينة له هدية منه، فاجتمعت لرافع الجموع من العرب وحاصر المهدية[3] فانقلبت ضده الأعراب بعدما استجلبها عليا إليه ووعدهم وأعطاهم فخذلوا رافعا[4]، وازدادت الوحشة بين علي ورجار صاحب صقلية [5].

وجرت بينهما مراسلات بالتهديد من كلا الطرفين، حتى أن عليا استنصر بأمير المرابطين يوسف ابن تاشفين لإدراكه بأنه لا طاقة له بمواجهة صاحب صقلية، فتوخى الحذر منه بقية حياته إلا أنه وقع بينهما الصلح في الظاهر فقط واستنجاد عليا بأمير المرابطين يوسف بن تاشفين يوحي بأن العلاقة بينهما كانت طيبة آنذاك واستمر الحال إلى وفاته[6] سنة (515هـ/1085م) وولي بعده ولده[7] "الحسن"[8] .

---

[1] مقديش (محمود بن سعيد) (ت 1228هـ/1812م)، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار**، تح : علي الزواري، و محمد محفوظ، مج 2 ، د ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م، ص 480 .

[2] التجاني، المصدر السابق، ص 333.

[3] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 89 .

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 307 .

[5] ابن أبي دينار، المصدر نفسه، ن ص .

[6] نفسه، ن ص .

[7] ابن الخطيب، **أعمال الأعمال**، ج 3، ص 83 .

[8] **الحسن** : هو الحسن بن علي بن تميم بن المعز الصنهاجي ولد بمدينة سوسة في رجب سنة (502هـ/1072م) و عهد إليه أبوه بالأمر في حياته ؛ للمزيد ينظر: ابن القطان (أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي) (منتصف القرن السابع الهجري)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح : محمود علي مكي، ج 3، د ط، د ب ن، د س ن، ص 78(الحاشية) .

و في عهده قام أبو عبد الله بن ميمون قائد علي بن يوسف بالهجوم على نقوطرة أحد جزر صقلية سنة (516هـ/ 1086م)، فنسب رجار هذا الهجوم إلى الحسن بن علي انتقاما من تلك العداوة التي كانت بينه وبين أبيه علي[1]، فجد رجار في تعمير الشواني والمراكب وحشد الجند ومنع من السفر إلى إفريقية وغيرها من بلاد المغرب وبالغ في كتم أمره كي يستفيد من عنصر المباغته[2]، لكن لم يخف المقصد على الحسن وخشي أن يفاجيء البلاد دون استعداد فأغلب الظن أن الحسن زادت شكوكه عندما انقطعت الطريق عن إفريقية فأوجس منهم خيفة وأخذ الحذر وأمر باتخاذ الأسلحة[3] وتشييد الأسوار واستقدام القبائل من العرب وغيرهم للجهاد، فوصلت إليه الحشود والأعراب من كل جهة[4] .

في يوم السبت 25 جمادى الأولى سنة (517هـ/1087م) سار الأسطول الفرنجي في ثلاثمائة قطعة وعدد الجند ألف فارس وفرس واحد، إلا أنهم لما ساروا من مرسى علي فرقتهم الريح وغرقت مراكب كثيرة، ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحها وقتل من بها وسبوا وغنموا وساروا عنها[5] وقصدوا المهدية ونزلوا الساحل، وضربوا الأبنية وملكوا قصر الدهانين (الديماس)[6] وجزيرة الأحاسي[7]، وتكرر القتال فيهم إلى أن غلبهم المسلمون وأقلعوا راجعين إلى صقلية بعد أن استمر القتل فيهم [8].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 308 .

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 222 .

[3] حمادي الساحلي، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص 393 .

[4] مقديش، المصدر السابق، مج 1، ص 482 .

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 222 .

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 214 .

[7] **جزيرة الأحاسي** : هي جزيرة كائنة في عرض رأس الديماس على نحو 10 أميال شمال المهدية ؛ للمزيد ينظر : مقديش، المصدر نفسه، ص 483 .

[8] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ص 214 – 215 .

وما زاد الأمر سوءا لدى النورمان وصول القائد المرابطي محمد بن ميمون بأسطوله، فعاث في نواحي صقلية وعزم رجار على إعادة الغزو إلى المهدية[1] بانتساب هذا الغزو إلى الحسن كعادته، لكن أدرك رجار أن احتلال إفريقية ليس بالأمر الهين لذلك لجأ إلى المناورة والخديعة، حيث عقد الصلح مع الحسن بن علي، فتم الصلح وشرط عليه رجار شروطا فقبلها وكاتب أهل المدينة الأمير يحي بن العزيز الحمادي صاحب بجاية وأغروه بتسليم المدينة فوثق بهم وبعث إليهم جيشا كبيرا إلى المهدية[2]، بعث الحسن إلى رجار يطلب منه المساعدة فأمده بأسطول، فعلم مطرف بذلك فارتحل من المهدية مسرعا[3]، وهذا إن دل إنما يدل على رغبة الحسن الشديدة وتمسكه بالملك مهما كان مصدر المساعدة ولو على حساب بيع بلده ودينه !![4]

وأقام الحسن مملكا بالمهدية[5] وبعد اطمئنان رجار أن الحسن صار حليفا له هاجم جزيرة جربة في نفس السنة بحجة أنها كانت خارجة عن طاعة الحسن وأخذها عنوة، فقتل رجالها وسبى نساءها، ثم ولى عليها عاملا من قبله[6]، فقد أدى ضعفها في تلك الفترة إلى استغلال النورمان على القيام بمثل هذه الحملة[7] .

وهكذا استمر الحال ببلاد المسلمين على ذلك إلى أن جاءت سنة (536هـ/1141م) حيث عادت الوحشة بين رجار الثاني وبين الحسن بن علي، بسبب مال استلفه الحسن من وكلاء رجار وتباطأ في رد السلف، فما كان من رجار إلا أن أسرع بإرسال أسطول إلى المهدية[8].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 214 – 215 .

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 90 .

[3] مقديش، المصدر السابق، ص 483 .

[4] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 90 .

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 215 .

[6] نفسه، ج 5، ص 231 ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 312 .

[7] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 208 .

[8] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 91 .

وقد حاول الحسن ملاطفة رجار أكثر من مرة وإهدائه الأسرى[1]، لكن رجار رفض بل وفرض عليه شروطا قاسية فقبلها ودخل تحت طوعه[2]، أضف إلى ذلك أن رجار قام بالاستيلاء على مركب للحسن تحمل اسم "نصف الدنيا"[3] .

المطلب الثاني : احتلال سواحل إفريقية (537هـ-1142م/543هـ-1148م)

أولا / إحتلال طرابلس الغرب (537هـ/1142م):

و في سنة (537هـ/1142م) سارت مراكب الفرنج من صقلية إلى طرابلس الغرب فحصروها وقد ساهمت عدة ظروف شجعت على غزوها بقول ابن الأثير: (أن أهلها أيام الأمير الحسن صاحب إفريقية، لم يدخلوا أبدا في طاعته، ولم يزالوا مخالفين ومشافقين له، قد قدموا عليهم من[4] بني مطروح[5] مشايخ يدبرون أمرهم فلما رآهم ملك صقلية كذلك، جهز إليهم جيشا، في البحر)[6]، نازلها رجار آخر هذه السنة فنقبوا سورها واستنجد أهلها بالعرب فأنجدوهم وهزموا الإفرنج[7].

ورجع الإفرنج إلى صقلية فتجهزوا إلى المغرب وطرقوا جيجل من سواحل بجاية وهرب أهلها إلى الجبل ودخلوها كما أغار على قرقنة ونهبوها[8] وخربوا قصرها، كما استولى أسطول النورمان على[9] مدينة برشك[10].

---

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 91 .

[2] محمد طالبي، **دائرة المعارف التونسية في تاريخ إفريقية أعلام – مواقع – قضايا**، تر : محمد العربي عبد الرزاق، رياض المرزوقي، ع خ، ط 1، بيت الحكمة، تونس، 1994م، ص 174 .

[3] التجاني، المصدر السابق، ص 340 .

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 327 .

[5] **بني مطروح** : من كبراء ووجهاء طرابلس كانوا من أنصار آل خزرون ولاة طرابلس ؛ ينظر : الطاهر أحمد الزاوي، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، 4، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص ص 236 – 237 .

[6] ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 326 .

[7] ابن أبي دينار، المصدر نفسه، ص 91 .

[8] نفسه، ن ص.

[9] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 5، ص 232 .

[10] **مدينة برشك:** مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب و هي على ضفة البحر 32 ميلا ؛ ينظر : الشريف الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمدبن عبد الله بن إدريس)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق قسم المغرب و السودان و الأندلس**، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص 88 .

وفي سنة (541هـ/1146م) أعاد رجار مهاجمة طرابلس للمرة الثانية وجهز أسطولا ضخما، وسار إليها فأحاطوا بها، برا وبحرا فدامت الحرب بينه وبين أهلها ثلاثة أيام[1] .

حيث يوصف ابن الأثير أحداثها قائلا: (فلما كان في اليوم الثالث سمع الفرنج بالمدينة ضجة عظيمة، وخلت الأسوار من المقاتلة وسبب ذلك، أن أهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بأيام يسيرة قد اختلفوا، فأخرج طائفة منهم بني مطروح، وقدموا عليهم رجلا من الملثمين، قدم يريد الحج، ومعه جماعة، فولوه أمرهم .....)[2] .

فلما نازلهم الفرنج أعادت الطائفة الأخرى بني مطروح، فوقع الحرب بين الطائفتين وخلت الأسوار، فانتهز النورمان الفرصة، ونصبوا السلالم، وطلعوا على السور واشتد القتال، فملكت الفرنج المدينة عنوة وقهرا بالسيف، فسفكوا الدماء، وسبوا نساءهم، وأخذوا أموالهم وهرب من هرب فنودي بالأمان إلى كافة الناس، فرجع كل من فر منها[3]، وفرضوا عليهم الجزية، وولوا عليها رافع بن مطروح، ورجعوا إلى صقلية وحثوا الناس على الرحيل إلى طرابلس[4] .

و نقف هنا عند قصة الرجل اللمتوني الذي ولاه أهل طرابلس أمرهم، حيث أن ابن الأثير وغيره من المؤرخين لم يشر إلى شيء من أمره، وعلى أي أساس ولوه !! سوى أنه عابر سبيله للحج !! كما لم يذكر اسمه !! وإذا كان هو قاصدا الحج لما يتنازل عن ذلك مقابل سلطة محفوفة بالمخاطر والثورات ؟ فهذه الرواية لا تستند للتسليم بصحتها [5].

---

[1] ابن خلدون، المصدرالسابق، ن ص .

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 338 .

[3] الأنصاري (أحمد النائب الطرابلسي)، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، ج 1، د ط، دار منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، 1317هـ/1899م، ص 123 .

[4] الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 238 .

[5] نفسه، ن ص .

أما عن سنة احتلال طرابلس الغرب للمرة الثانية، فقد اختلف فيها بعض المؤرخين فنجد الإدريسي أن السنة هي (540هـ/1145م)[1]، ومنهم من جعلها سنة (541هـ/1146م) كابن خلدون[2] وابن غلبون[3] وأبو الفدا[4]، إلا أنه يمكن ترجيح سنة (540هـ/1145م) من رواية الإدريسي على أساس أنه عايش الأحداث[5].

ثانيا / إحتلال قابس (542هـ/1143م):

و في سنة (542هـ/1143م) عاد رجار الثاني لشمال إفريقية وقد قام باحتلال قابس بعدما خافته جميع البلاد الإفريقية وكتب إليه صاحب قابس بالتضرع والملاطفة وأن يكون عامله في هذه البلاد وتحت طوعه[6] وفي هذه الفترة حصل بإفريقية غلاء شديد، ففارق الناس القرى ورحل أكثرهم إلى جزيرة صقلية، فاغتنم رجار هذه الفرصة وجهز أسطولا بقيادة جرجي الأنطاكي[7] .

فبعدما توفي صاحب قابس الرشيد وخلف أبناءا، قام مولاه يوسف بتنصيب إبنه محمد بن رشيد لغرض استغلال سنه وإبعاد إبن الرشيد الأكبر[8] ولم يكتف بذلك بل إنه استولى على البلد ثم أخذ في التعرض لحرمة سيده، فأرسلت تشكوا لإخوتها، فاستنجدوا بالحسن، فكاتب يوسف لكنه لم يجبه فجهز الحسن جيشا وناصره العرب في ذلك[9] .

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، مج 1، ص 297 .

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 5، ص 232 .

[3] ابن غلبون (أبي عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي) (ت 1177هـ/1763م)، **التذكار فيمن ملك طرابلس و ما كان بها من الأخبار**، تع : الطاهر أحمد الزاوي، د ط، دار المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص 49 .

[4] أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل) (ت 732هـ/ 1331م)، **المختصر في أخبار البشر**، ج 3، ط 1، دار المعرفة، بيروت، د س ن، ص 18 .

[5] الإدريسي، المصدر نفسه، ص 297 .

[6] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 91 .

[7] أبو الفدا، المصدر السابق، ص 19 .

[8] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 233 .

[9] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص ص 346 – 347 .

و عندما علم يوسف بخروج الحسن اتصل برجار وأظهر له الطاعة وطلب منه أن يوليه قابس فلما وصل عساكر الحسن ثاروا به معهم وتحصن يوسف بالقصر فملكوه عنوة وأخذ يوسف أسيرا إلى أن هلك وملك معمر قابس مكان أخيه محمد[1]، ولحق عيسى أخو يوسف وابن يوسف برجار صاحب صقلية واستجاروا به وشكوا إليه ما لقوا من الحسن، فغضب لذلك، فعزم على غزو المهدية[2] .

ويبدو أن أحداث قابس التي أسردناها وما مدى أهمية المهدية في أن تكون قاعدة للإنطلاقة منها إلى بقية المدن الإفريقية، وأضف إلى ذلك الوحشة التي كانت بين رجار والحسن بن علي كل هذا شجع رجار للكرة مرة تلوى الأخرى لاحتلال ساحل إفريقية وهكذا كانت انطلاقة رجار الثاني لاحتلال المهدية بقيادة جرجي الأنطاكي، فوصل إلى جزيرة قوصرة وهناك صادفوا مركبا لجواسيس الحسن، ودليل ذلك اختيارهم جزيرة قوصرة الواقعة منتصف الطريق بين المهدية وصقلية[3].

وعند وصول الأسطول النورماني قوصرة علم الحسن بالخبر[4]، ثم سار الأسطول وبعد وصوله المهدية ليلا قبل خروج أهلها فقدر الله تعالى، أن أرسل عليهم ريحا قوية، فلم يقدروا على السير إلا بالمقاذيف، فطلع النهار ثاني صفر، في سنة (543هـ/1144م) فلما كشف أمره، أرسل جرجي للحسن يقول: (إنما جئت بهذا الأسطول طالبا بثأر محمد بن رشيد، صاحب قابس وقال له بأنه باق على عهده، وأنه بحاجة لمساعدته في ذلك وطلب منه عسكرا ليستعين به في تنفيذ مهمته)، ولما علم الحسن أنها خدعة جمع[5] أهالي المهدية واستشارهم في ذلك، فقالوا نقاتل، لكنه غير رأيه وخرج بالأهل والولد وترك البلاد [6].

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص ص 346 – 347 .

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ص 91 – 92 .

[3] ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 351 .

[4] نفسه، ن ص.

[5] التجاني، المصدر السابق، ص 341 .

[6] مقديش، المصدر السابق، مج 1، ص ص 485 – 486 .

والسؤال المطروح هنا ما سبب خروج الحسن من المهدية رغم أن الأعيان والفقهاء أشاروا عليه بالقتال ؟

ربما لأنه أدرك أن الغلاء أضعف الجند، والنقص الكبير في عدد الجيش، كذلك عدم رغبته في مساعدة العدو ضد المسلمين، فاختار الخروج من القصر ومن البلاد مع الأهل والأولاد ومن تبعه من الناس، أما الأسطول فبقي في البحر تمنعه الريح من الوصول إلى المهدية[1] ثم هدأت الريح فدخل ووجد المهدية خالية فملكها دون دفاع، وأمر أن ينادي في[2] المهديتين[3] بالأمان، فارتفع النهب منهما، وأخرج جمع النصارى من المهديتين[4] .

و أما الحسن بن علي فإنه وصل إلى عسكره والذي قدمنا أنه كان في نصرة محرز بن زياد فلقيه محرز بالبر والإكرام ثم عزم الرحيل[5]، وعندما علم جرجي بذلك جهز المراكب ليمنعه من ذلك فغير الحسن رأيه وعزم عل المسير إلى عبد المؤمن بن علي بالمغرب فبقي إلى أن ملك عبد المؤمن بجاية سنة (547هـ/1152م) فحضر عنده وبعد انتهاء رجار الثاني من احتلال المهدية أرسل أسطولين أحدهما لسوسة التي سلم أهلها دون قتال[6] .

ثالثا / إحتلال صفاقس (543هـ/1139م):

أما مدينة صفاقس فإن النورمان امتلكوها بالخديعة كعادتهم، لكن صفاقس قامت بالتصدي للعدوان، فأظهر الفرنج الهزيمة فأتبعهم المسلمون، عندئذ عاد النورمان لمهاجمتهم فتفرق المسلمون ثم دخلها النورمان بعد قتال شديد في 23 صفر من سنة (543هـ/1139م) ، وبعد احتلالها أسكن جماعة من النصارى وحصل على رهائن منهم شيخ البلد أبي الحسن الفرياني وأبقى ولده عمر بن أبي الحسن واليا عليها[7] .

---

[1] مقديش، المصدر السابق، مج 1، ص ص 485 – 486 .

[2] ابن غلبون، المصدر السابق، ج 3، ص 84 .

[3] **المهديتين** : يريد بالمهدية الثانية زويلة و بينها و بين المهدية مقدار رمية سهم ؛ ينظر : نفسه، ن ص (الحاشية) .

[4] نفسه، ن ص .

[5] التجاني، المصدر نفسه، ص 342 .

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 352 .

[7] مقديش، المصدر السابق، مج 1، ص ص 489 – 491 .

وفي سنة (548هـ/1154م) إحتل رجار الثاني قرقنة مرة أخرى، وبقيت تحت سيطرته سبع سنوات، ثم قام بإرسال أسطوله إلى بونة، وحاصرها فتاه فيليب المهدوي واستولى عليها في رجب من نفس السنة، ثم عاد إلى المهدية[1]، ومات رجار الثاني في نفس هذه السنة وخلفه ابنه "غليالم" الذي لم يكن يحمل من صفات أبيه وجده[2] .

- تحرير سواحل إفريقية على يد عبد المؤمن الموحدي :

في سنة (551هـ/1156م) ثار أهل صفاقس لطرد النورمان فكاتب أبا الحسن الفرياني الذي أخذ كرهينة إلى صقلية لابنه عمر وأمره بانتهاز الفرصة فيهم والاستسلام إلى الله في حق المسلمين[3]، وهذا دليل على قوة التضحية بالنفس من أجل تحرير بلد المسلمين من العدو الصليبي، فلما أتيحت الفرصة لعمر بن أبي الحسن الفرياني دعا أهالي صفاقس إلى الثورة وعند وصول الأخبار إلى صقلية بثورة الأهالي قام "غليالم" بتهديد عمر بقتل أبيه الحسن لكن عمر استمر في تدبير شؤون صفاقس إلى أن نزل عبد المؤمن إلى إفريقية لتحرير المهدية، فوصل إليها عمر مع جماعة من أعيان صفاقس فأذعنوا له بالطاعة وتعد هذه الثورة سببا في قيام باقي ثورات مدن شمال إفريقيا على النورمان حسب ما ذكرته المصادر التاريخية[4] .

كما تبعهم أيضا أبو يحي بن مطروح في طرابلس، ثم محمد بن رشيد كما أرسل عمر بن الحسن إلى زويلة يحرضهم على الثورة، فثاروا بمساعدة عرب البلاد وأهل صفاقس فحاصروا المهدية[5] فما كان من غليالم إلا أن سير عشرين مركبا مشحونة ومجهزة، ودخلوا البلاد ولم يتمكن أثناءها أهل زويلة وصفاقس من تحرير المهدية بسبب قيام بعض العرب الخونة الذين أغوتهم النورمان بالمال، وقتل الكثير منهم، لكن جماعة من الناجين مضوا إلى "عبد المؤمن بن

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 391 .

[2] مقديش، المصدر السابق، ص 490 .

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 224 .

[4] مقديش، المصدر نفسه، ص ص 491 – 492 .

[5] نفسه، ن ص .

علي" شيخ الموحدين بالمغرب وأخبروه بأمر زويلة والمهدية[1]، وما حل بهم، فقد تأثر كثيرا لما حدث بإفريقية ولم يتردد في التوجه إليها أما طرابلس فقام أهاليها سنة (553هـ/ 1158م) بثورة ضد غليالم[2] .

فقام أهالي طرابلس بتولية "رافع بن مطروح" للمرة الثانية عليها، وبقي يقوم بشؤونها إلى أن قام "عبد المؤمن بن علي" باسترداد المهدية سنة (555هـ/1160م)[3] .

أما عن تحرير المهدية[4]، فما كان من عبد المؤمن إلا الهم بالرحيل نحوها بعدما قام بالتجهيزات اللازمة، حيث قدرت المصادر الإسلامية عدد جيش الموحدين بمائة ألف فارس أما الرجالة فلا يحصون[5]، إلا أن هناك رواية لصاحب الحلل الموشية تقول: (بلغ جيشه في هذه الوجهة إلى خمسة وسبعين ألف فارس ومن الرجالة خمسمائة وألف منقسما على أربعة عساكر لكل عسكر يوم يختص به وماء ينزل عليه ...)[6] .

ومهما يكن من اختلاف في العدد والعدة فإنه يدل على التجهيز الضخم، وفي 24 جمادى الآخرة من سنة (554هـ/1159م) سار الأسطول والجيش باتجاه تونس، ودخلها عبد المؤمن وقاتلهم بعد أن امتنعوا عن الطاعة[7] ، ووصل المهدية يوم الأربعاء 12 رجب سنة (554هـ/1159م) بعدما أخلى النورمان زويلة فدخلها عبد المؤمن وعمرها[8] .

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 404 .

[2] الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 240 .

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 223 .

[4] التجاني، المصدر السابق، ص 345 .

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 5، ص 238 ؛ مقديش، المصدر السابق، مج 1، ص 494 .

[6] ابن الخطيب، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ط 1، تص : البشير الفورتي، دار مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1329هـ، ص 115 .

[7] ابن الخطيب، نفسه، ص 116 ؛ التجاني، المصدر نفسه، ن ص .

[8] مقديش، المصدر نفسه، ص 496 .

ثم نزل عبد المؤمن المهدية فحاصرها حصارا شديدا، لكن لشدة حصانتها استطاع النورمان مقاومة الحصار[1]، فقام عبد المؤمن ببناء سور يمنع النورمان الخروج من المدينة[2] فاستمر حصارها ستة أشهر[3]، وفي نفس الوقت بدأت تتوافد عليه وفود المدن الإفريقية، وفي 22 شعبان (554هـ/1159م) تقدم أسطول صاحب صقلية في مائة وخمسين مركبا[4] وعند قربهم من المهدية خرج إليهم جيش عبد المؤمن واقتتل الأسطولان في البحر وكان النصر حليف المسلمين[5] حتى اضطر أعيان من النورمان لطلب الأمان من عبد المؤمن[6] بالخروج من البلاد بأموالهم وأهليهم، فاستجاب لطلبهم، ودخل عبد المؤمن المهدية يوم عاشوراء (555هـ/1160م) .

المبحث الثاني : صليبية لويس التاسع على إفريقية (668هـ/1270م)

المطلب الأول : تخطيط لويس التاسع للحملة ومسيرها إلى تونس :

بعد الهزيمة التي مني بها[7] لويس التاسع بمصر سنة (648هـ/1248م)، حيث اعتقل في دار القاضي فخر الدين إبراهيم بن لقمان في مدينة المنصورة[8] .

ويبدو أن هذه الهزيمة كفيلة في رغبة لويس للعودة ومحاربة المسلمين والثأر منهم .

قرر لويس الاتجاه بحملته الجديدة إلى تونس، ولحد الآن لا يعرف التاريخ سببا واضحا لتغيير اتجاه حملته من المشرق إلى شمال إفريقية، خاصة وأن أمير تونس المستنصر بالله

---

[1] عبد الواحد المراكشي (محي الدين أبي محمد ابن علي التميمي) (ت 647هـ/1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، تح : محمد سعيد العريان، د ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1383هـ/1963م، ص 163 .

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 429 .

[3] التجاني، المصدر السابق، ص 348 .

[4] ابن الأثير، المصدر نفسه، ص ص 329 – 330 .

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 5، ص 239 .

[6] التجاني، المصدر نفسه، ص 349 .

[7] المقريزي، **السلوك**، ج 1، ص 455 .

[8] نفسه، ن ص .

الحفصي كانت تربطه علاقات طيبة مع الحكام المسيحيين في أوروبا قبل الحملات الصليبية[1] أخذ لويس التاسع على عاتقه مهمة إنجاح الدعاية لها وبالتالي انضم عدد كبير من الأمراء والبارونات والمتطوعين، ولإنجاح الحملة الدعائية استخدم عدة أساليب كتقديم المعونات المالية للفقراء والمحتاجين، وقدم وشاحا طبع عليه علامة الصليب ففهم الجميع أنه لابد من الانصياع لرغبته في الانخراط بسلك الحملة[2]، كذلك اعتمد على المنصرين [3].

ففي سنة (659هـ/1261م) انتهز لويس إحدى المناسبات الدينية ودعا إلى اجتماع عام اتخذ المجتمعون قرارا بمراقبة إحياء شعائر الدين وإقامة الصلوات والتوقف عن الاحتفالات والمباريات الرياضية لإعداد المهمة الجديدة في خدمة الحركة الصليبية وتكليف رئيس الوعاظ في فرنسا للدعاية[4]، فبعد هذه الحملة الدعائية ماذا كان موقف البابا ؟

أرسل الملك الفرنسي إلى البابا كليمونت الرابع مظهرا رغبته في الإشتراك شخصيا في هذه الحملة ومتمنيا موافقته عليها، لكن البابا رفض في البداية، وبعد وصول خبر الرفض أصر لويس في رسالة أخرى على موقفه في الإشتراك بالحملة فوافق البابا وأرسل إليه نائبا عنه هو الكردينال رودولف دي البانو ليسلمه الصليب ثم مرافقته في الحملة كنائب بابوي[5] .

أما بالنسبة إلى تمويل الحملة فالكنيسة شغلت دورا مهما في تمويلها، حيث وزعت الأموال على النبلاء وطالبتهم بسرعة إعداد القوات المطلوبة وفرضت إتاوات على عدة جهات لتقدم للملك الفرنسي المساعدة في تحمل عبء المصاريف، كذلك فرضت الكنيسة عدة ضرائب كرست للهدف نفسه وهذا يدل على موافقة البابوية ومشاركتها المعنوية والمادية للإعداد للحملة[6].

أما بالنسبة لموارد الحملة فكانت مما يلي :

---

[1] Robert brunschvic : **La Berbirie Orientale sous les hafsides des Origines ala fin du XV^e Siecle**, 1^éme partie, Paris 1940, pp 55 – 56 .

[2] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 71 .

[3] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 244 – 245 .

[4] نفسه، ن ص .

[5] نفسه، ص ص 247 – 248 .

[6] منى فاخر النائب، المرجع نفسه، ص 73 .

– فرض ضريبة العشر لمدة ثلاث سنوات بالرغم من المعارضة والاستنكار الذي وجهت به تلك الضريبة من قبل الكثيرين .

– فرض ضريبة جديدة على أفصاله الإقطاعيين .

– رصد الأموال العائدة من هدايا المدن ورسوم القضايا الجنائية والمدنية لهذا المشروع[1]

و بعد حصول لويس على موافقة البابا دعا لانعقاد اجتماع في باريس بقصر اللوفر وكان ذلك في صباح يوم 25 مارس سنة (665هـ/1267م) بحضور الملك ونائب البابا، حاملا بيديه[2] إكليل الشوك[3] وقطعة خشب الصليب الأصلي بهدف التأثير بهم، ثم ألقى البابا خطبة أعلن فيها نيته بحمل الصليب وقيادة حملة صليبية ودعاهم إلى الانضمام إليهم ثم تلاه نائب البابا حيث ألقى هو الآخر كلمة وعظ حث الجميع على متابعة الملك ثم سلم الصليب للملك ومن تم دعا الجميع لحمل السلاح والاستعداد لإنقاذ الأراضي المقدسة من المسلمين[4]، مصحوبا بأبنائه الثلاث وابنته إيزابيلا وصهره وغيرهم من زعماء أوروبا الغربية[5] .

كذلك شارك في الحملة عدد كبير من فرنجة الشرق الذين وصلوا إلى تونس من عكا بأعداد كبيرة، وإمدادات ضخمة وعدد كبير من السفن وقرابة إثنين وثلاثين فارسا[6]، ثم دخل لويس التاسع في مفاوضات مع البندقية وجنوى لاستئجار الأسطول اللازم[7] حيث انتهت المفاوضات بعقد اتفاقية مع جنوى لهذا الغرض وكان من بنودها أن للملك الحق في أن يتوقف في أي ميناء لمدة لا تتجاوز الشهر ويمكنه الاحتفاظ بالأسطول إلى ما بعد الشتاء مقابل دفعة

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 252 – 253 .

[2] نفسه، ص 248 .

[3] **إكليل الشوك** : الذي تكلل به المسيح (على زعمهم، و هو الآن محفوظ في كنيسة مريم العذراء الكاتدرائية بباريس) ؛ ينظر : سيد علي الحريري؛ المرجع السابق، ص 340 .

[4] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، نفسه، ص ص 248 – 249 .

[5] Robert brunschvic , op-cit, 1éme partie p 55 .

[6] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 75 .

[7] Robert brunschvic , op-cit, p 55 .

إضافية مقدارها خمس المبلغ الأساسي المتفق عليه، وقد تم إعداد ميناء إجمورت ليكون نقطة إنطلاق الحملة[1] .

و عندما وصلت أخبار الحملة إلى المستنصر بدأ في الاستعداد لمواجهتها فقام بالاستكثار من العدة وأرسل إلى الثغور لإصلاح الأسوار واختزان الحبوب كما أنه بادر إلى إرسال سفارة إلى بلاط لويس التاسع تحمل ثمانين ألفا لاسترضاء لويس فيقول ابن خلدون : (و أوفد السلطان رسله إلى الفرنسيس لاختيار رجاله ومشارطته على ما يكف عزمه وحملوا ثمانين ألفا من الذهب لاستتمام شروطهم فيما زعموا، فأخذ المال من أيديهم وأخبرهم أن غزوه إلى أرضهم فلما طلبوا المال اعتل عليهم بأنه لم يباشر قبضه)[2]، وهذا دليل واضح على نيته منذ البداية كانت التوجه إلى تونس .

المطلب الثاني : انطلاق الحملــة :

إنطلق لويس من باريس باتجاه أجمورت[3] في أول يوليه سنة (668هـ/1270م)[4]، وهناك انتظر وصول بقية القوات فمدة الانتظار هذه ستؤثر سلبا على وضع الحملة، كما سيمر لاحقا وحدثت صدامات في أجمورت بين التجار والجنود وقد ذهب ضحيتها مئة شخصا من الفرنجة وأهالي المدينة الأمر الذي أوقع لويس في حيرة، هل يبقى في إجمورت ينتظر على أمل وصول بقية القوات الفرنجية ؟ أم يرحل بجيشه والفتنة على أشدها بين جنوده[5] ؟

فصدر الأمر بالرحيل إلى سردينيا وأقلع الأسطول إلى ميناء كالياري في سردينيا حيث اكتمل النصاب بوصول بقية المساهمين في الحملة، ومن الملاحظ إلى حد الآن أن جميع أعضاء الحملة كانوا متأكدين من تحولهم إلى المشرق الإسلامي نحو مصر أو فلسطين، لكن

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 253 .

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 426 .

[3] ينظر الملحق رقم (4) .

[4] ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 502 .

[5] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص ص 77 – 78 .

لويس التاسع جمع قادته ومرافقيه على متن سفينته وطلب منهم الموافقة على تحويل وجهتهم نحو تونس[1].

و من هنا نستدل أن لويس كان عازما على غزو تونس لأن جزيرة سردينيا ليست على الطريق إلى المشرق، فقد اتخذ قراره قبل وقت الحملة بدليل سفارة المستنصر الحفصي التي أرسلها إلى لويس، إذ كيف يعلم المستنصر بعزم لويس على غزو إفريقية ويرسل له سفارة لمفاوضته ومحاولة استرضائه في أوائل أكتوبر سنة (668هـ/1229م) أي قبل اجتماع كالياري بأكثر من عشرة أشهر .

و في سردينيا واجهت الحملة متاعب أيضا حيث قلت الأقوات مما زاد الطين بلة وزاد تدهور الحملة حتى قبل وصولها إلى تونس[2]، إلا أن الخطأ الآخر الذي ارتكب أثناء رحيل الحملة هو الإسراع في قرار الإبحار إلى تونس، فقد كان على لويس أن يعيد تنظيم صفوفه ويتفادى مشكلة قلة الأقوات بسبب طول الإنتظار في أجمورت أضف إلى ذلك إنتشار الأمراض بين رجاله وما حدث من فوضى بين الجيش، وهبوط الروح المعنوية، وعادت مشكلة المرض لتظهر من جديد في صفوف الجيش، ثم جاءت رياح عاصفة بالقرب من تونس زادت الوضع سوءا[3] .

و يورد ابن أيبك الدواداري[4] وابن تغري بردي أن مراكب الفرنج دخلت الإسكندرية[5]، لكن هذا الرأي لا يمت للواقع بصلة، ويبدو أن هزيمة لويس في مصر جعلت بعض الأقاويل تكثر بأنه جاء للانتقام لهزيمته .

---

[1] سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوت، **أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ط 1، دار العبيكان للأبحاث و التطوير، الرياض، 1430هـ/2009م، ص 188 .

[2] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 79 .

[3] نفسه، ن ص .

[4] بن أيبك الدواداري (أبي بكر بن عبد الله)، **كنز الدرر و جامع الغرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)**، تح : أولرخ هارمان، ج 8، د ط، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1391هـ/1971م، ص 144 .

[5] ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي) (ت 874هـ/1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة**، د ط، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د س ن، ص ص 148 – 149 .

و أخيرا وصل لويس التاسع إلى شواطئ تونس[1] أمام مدينة قرطاجنة العتيقة[2] في أشد أوقات صيف إفريقية حرارة، فالمناخ لعب دوره في إضعاف قوة الصليبيين فسرعان ما تفشى المرض في المعسكر الفرنسي[3] فاعتراهم داء الدستتريا والحمى الخبيثة[4] .

أما عن تاريخ وصول الحملة، فالمصادر الإسلامية لا تختلف كثيرا حول ذلك فمعظمها حدد تاريخ ذي القعدة (668هـ/1270م) كشهر وكسنة لوصول الحملة، كان وابن الشماع كان أدق في تحديد اليوم الذي نزلت فيه القوات الفرنسية فقد حدد 26 ذي القعدة (668هـ/1270م)[5].

أما بالنسبة لعددهم وعدد قطع الأسطول فمعظم المصادر الإسلامية لم تحدده بالضبط، فابن خلدون يذكر: (أنهم زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين ألفا من الرجالة وكانت أساطيلهم ثلاثمائة بين كبار وصغار وكانوا سبعة يعاسب)[6]، أما ابن أبي زرع فيقول : (أربعين الف فارس ورماتها مئة ألف رام، ورجالها مئة الف راجل)[7]، أما ابن الشماع فيذكر : (أنها جموع وافرة فرسانا ورجالا ورماة)[8]، أما الترجمان فيقول : (نزل الإفرنسيس مدينة تونس بجموع وافرة فرسانا ورجالا)[9] .

---

[1] الترجمان (أبي محمد عبد الله الميورقي) (ت 832هـ/1428م)، **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب** : تح : عمر وفيق الداعوق، ط 1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1408هـ/1988م، ص 14 .

[2] محمد المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق و المغرب**، ص 137 .

[3] ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 502 .

[4] سيد علي الحريري، المرجع السابق، ص 343 .

[5] ابن الشماع (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح : طاهر بن محمد المعموري، د ط، دار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص 72 .

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 427 – 428 .

[7] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 404 .

[8] ابن الشماع، المصدر نفسه، ن ص .

[9] الترجمان، المصدر نفسه، ص 14 .

و بعد وصول لويس قبالة قرطاج انشغل بعلاج مرضاه الذين بدأ المرض ينتشر بينهم وينهك قواهم، حيث فشلت محاولته لشراء الدواء من تونس وهذا دليل على أن وضع الحملة كان سيئا منذ وصولها إلى تونس، فتيقن الصليبيون أن الأمور لم تحسم إلا بالقتال[1] .

و نتيجة لما تقدم بدأ الفرنجة بالاستيلاء على خرائب قرطاج[2] وتمركزوا فيها، حيث قام مقدم الأسطول بالتقدم لاختيار مكان النزول واتجه ببعض القوات إلى مرسى قريب من هضبة بيرصا واستولى عليه، ثم نزل البر دون مقاومة وأرسل مقدم الأسطول بالاستيلاء على المرسى .

و قد تفاوض المستنصر مع أهل الشورى من الأندلس والموحدين في تخليتهم وشأنهم من النزول بالساحل أو صدهم عنه، فأشار بعضهم بصدهم حتى تنفذ ذخيرتهم من الزاد والماء فيضطرون إلى الإقلاع، وقال آخرون : إذا أقلعوا من مرسى الحضرة ذات الحامية والعدد فيحاصروهم وينقضوا عليهم لأنهم إذا نزلوا بقربها يطوقوا بعض الثغور ويستولوا عليها فيصعب حينذاك إخراجهم ثم تقرر الأخذ بالرأي الثاني وسمح للفرنجة بالنزول في قرطاج وخلى لهم الساحل ولا يقاتلهم أحد[3] .

و في يوم الجمعة بدأ الصليبيون يشاهدون قوات إسلامية قرب الميناء ويبدو أنها للمراقبة فقط، فعقد الملك اجتماعا قرر فيه المجتمعون النزول إلى البر وبالفعل بدأت سفينة الملك تسير نحو الميناء والقوات الصليبية تغادر سفنها وتنزل بر الميناء بالقرب من حصن قرطاج ونصبوا خيامهم بها إلا أن هذا الموقع كان خاليا من الماء العذب فبدا غير صالح للإقامة مما دفعهم للتفكير في التحول عنه إلى مكان آخر[4] .

وأبدوا استعدادهم للاستيلاء على ذلك الحصن باقتراح كبار الأمراء والفرسان فوافقهم لويس وتم إعداد خطة محكمة للحصار وفي يوم الخميس 3 ذي الحجة (668هـ/24 يوليو 1270م)

---

[1] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 83 .

[2] Thomas f.Madden, **the concise history of the crusades**, pub: Rowman, et Llittefield, third edition, Distributed by national Book network, p 170 .

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 427 .

[4] نفسه، ص ص 293 – 294 .

تقدمت القوات الصليبية نحو قلعة قرطاج وتم الحصار برا وبحرا وتمكنوا من اقتحامها دون وجود أي رد فعل إسلامي من داخلها، وهذا يدل على سوء التخطيط العسكري من جانب المستنصر لمواجهة الموقف[1].

و قد ترتب على سقوط القلعة بهذه السرعة رفع معنويات الصليبين بصفة عامة ولويس بصفة خاصة، أيضا ترتب عليه تكوين فكرة دقيقة عن أحوال المعسكر الإسلامي ونقاط الضعف فيه، إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود مقاومة إسلامية، فقد شن المسلمون هجوما على الجيش الصليبي عبر البحيرة فظفروا وغنموا وقاموا بحراسة البحيرة حتى يمنعوا الطريق عن العدو[2].

وشرع لويس التاسع بتحصين قرطا ج[3] إن تحكمهم في مينائها سيسهل عملية نفاذ المسيحيين داخل تونس نفسها وبالتالي فالمسافة بين قرطاج وتونس لا تتعدى بضعة أميال، وتكون تونس مفتوحة أمامهم ثم إن لويس لم يكتف بالسيطرة على القلعة والميناء وإنما سيطر أيضا على البرج بعد سقوط عدد من القتلى لكلا الطرفين[4] .

و هكذا ندم المستنصر على إضاعة الحزم في تخريب سور قرطاج وهذا يدل على الضعف الذي كان يشعر به أمام مجابهة الحملة[5]، بدليل ما ذكره صاحب كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار في قوله : (لم يخرج بنفسه إلى لقائهم وإنما اكتفى بإخراج سبعة قواد نازلوهم ونصبوا محلاتهم بإزاء محلاتهم)[6]، وما حدث في قرطاج أحدث قلقا في أنحاء

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 296 – 297 .

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 428 .

[3] نفسه، ص 428 .

[4] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 86 .

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 428 .

[6] العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله) (ت 749هـ/1348م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار(ممالك اليمن و الغرب الإسلامي و قبائل العرب)**، تح : حمزة أحمد عباس، س 4، ط 1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ/2002م، ص 138 .

العالم الإسلامي حيث وجه بيبرس رسالة قاسية للمستنصر يقول فيها: (مثلك لايصلح أن يلي أمور المسلمين لإنك لم تخرج لمجابهة الصليبيين عندما نزلوا قرطاجة وكنت مستخفيا)[1] .

و بلا تردد جمع بيبرس أمراء المماليك الرئيسيين وأخبرهم بنيته في الذهاب على رأس جيش قوي إلى شمال إفريقية لمساعدة المسلمين لصد هذه الحملة[2]، ثم كتب إلى عناصر العربان في برقة من أجل التقدم لمعاونة أشقائهم التونسيين من الخطر الصليبي المحدق بهم[3] .

و لكن هل سيبقى المستنصر مكتوف الأيدي حيال هذا الموقف؟ من الطبيعي أنه بعد اهتزاز صورته أمام العالم الإسلامي وأنه ظهر بموقف المتخاذل سوف لن يقف مكتوف الأيدي، وهو الذي حصل على لقب خليفة المسلمين .

إغتنم المستنصر سكون خصومه لتنظيم دفاعه واستنجد بعدد كبير من الجند ومن رجال القبائل الذين أتى بهم من منطقة قسنطينة بقيادة والي بجاية أبي زيان محمد بي عبد القوي أمير بني توجين، كما اكتسبت المقاومة صبغة الجهاد المقدس حيث أن رجال الدين أصدروا نداءا إلى الأهالي مستشهدين بالقرآن لتحرضهم على الجهاد[4] في قوله تعالى:﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[5].

كذلك شاركت منطقتا الساحل والقيروان في هذه الحملة المنظمة لتجنيد المجاهدين[6] بقيادة الشيخين "أبي علي سالم القديدي" و"أبي علي عمار المعروفي"، فاجتمع حولهما خلق كثير[7] كذلك جاءت جموع من العرب والقبائل كما أمده ملوك المغرب من زناتة وبني توجين، وعين سبعة من الموحدين على سائر الجند[8] .

---

[1] محمد المطوي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي**، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ص 205 .

[2] أمين معلوف، **الحروب الصليبية كما رآها العرب**، تر : عفيف دمشقية، ط 1، دار الفارابي، بيروت، 1989، ص 312 .

[3] محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص 317 .

[4] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 91 .

[5] سورة التوبة، [الآية 41] .

[6] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ن ص .

[7] محمد المطوي، **السلطنة الحفصية**، ص 208 .

[8] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 428 .

كذلك امتلأت سواحل رادس بالمرابطين والمطوعة وجند الأندلس الذين وصل عددهم حوالي أربعة آلاف فارس وهؤلاء كانوا تحت قيادة محمد بن أبي الحسين رئيس الدولة[1] .

و حيال ذلك فإن لويس التاسع تردد ولم يقدم على هجوم تونس كما أن تأخر وصول أخيه شارل[2] وقلة التنظيم في الجيش الصليبي ووجود المرضى كل ذلك سمح للمستنصر أن يجمع هذه الأعداد من المدافعين[3] .

قامت خطة المستنصر على إحكام الحصار حول قوات الحملة ومنع وصول الإمدادات إليها، والعمل على تصيد الصليبيين فرادى دون الدخول معهم في معركة حاسمة أو سريعة ثم تقدمت القوات الإسلامية وحاصرت القلعة، فرد لويس على ذلك بزيادة تحصينات الميناء والبرج وبدأ بتحصين الطرق والشوارع المؤدية إلى القلعة .

كذلك حاول المستنصر تخليص الميناء من قبضة الصليبيين خشية إيقاع تونس في محنة اقتصادية فهو أيضا بالنسبة للويس المنفذ الآمن الذي يمكنه من خلاله الحصول على الإمدادات من أخيه شارل الذي كان ينتظر قدومه[4]، وقد أرسل رسالة يدعوهم فيها إلى تأجيل هجومهم إلى أن يصل وقد استجاب لويس لذلك لأنه بحاجة إلى المدد لشن هجوم على أوسع نطاق، حتى أن القوات الصليبية اضطرت إلى وقف القتال والاقتصار على موقف الدفاع، والقيام ببعض المناوشات وذلك بانتظار قدوم شارل الذي أرسل رسالة عن قرب وصوله لكنه تأخر عن القدوم[5] طيلة شهر كامل أو يزيد[6]، ومن هنا نستنتج أن مدة الانتظار هذه سمحت للمستنصر إنهاء تجهيزاته .

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 427 .

[2] Thomas F.MADDEM, OP-CIT, P 171 .

[3] محمد المطوي، المرجع السابق، ص 206 .

[4] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 88 .

[5] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 90 .

[6] محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 194 .

إنتشر مرض الوباء بين جيش لويس التاسع حيث أصيب العديد وساعدت ظروف الطقس لا سيما الحر الشديد خلال شهر أغسطس على انتشار حدة الإصابة[1]، وكان الملك من أوائل الذين عصف بهم الوباء[2]، وعندما وصل أخوه شارل دانجو مع جيشه[3] في 25 أغسطس (669هـ/1270م)[4] علم أن أخاه قد توفي منذ ساعات قليلة فترأس الحملة[5] .

أما بالنسبة لسبب موته فهو موضع خلاف بين المصادر الإسلامية فابن خلدون أورد أكثر من رأي حيث يقول : (ثم إن الله أهلك عدوهم وأصبح ملك الفرنجة ميتا حتف أنفه، ويقال أصابه سهم غرب في بعض المواقف فأبته، ويقال أصابه مرض الوباء، ويقال وهو بعيد أن السلطان بعث إليه مع ابن جرام الدلاصي بسيف مسموم وكان فيه مهلكه)[6]، فابن خلدون بذلك استبعد الرأي الأخير القائل بأنه مات بسيف مسموم . إلا أن الباجي المسعودي يذكر: (أنه توفي بسهم غرب وقيل بالوباء)[7] .

و بخصوص تاريخ وفاته فقد اتفقت جل الروايات التاريخية أنها سنة تسع وستين، كابن أبي زرع[8]، وابن الشماع[9]، واتفق معهم ابن أبي دينار وغيرهم[10] .

أخذ شارل دانجو جثة لويس إلى مدينة بلرمة[11]، وجعله رجال الكنيسة في مرتبة القديسين كما سجل في التاريخ من كبار الملوك الذين حكموا فرنسا[12] .

---

[1] Thomas F.MADDEM, OP-CIT, P 171.

[2] ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 502 .

[3] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 659 .

[4] ستيفن رنسيمان، المرجع نفسه، ن ص .

[5] Thomas F.MADDEM, OP-CIT, P 171 .

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 429 .

[7] الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص 63 .

[8] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 404 .

[9] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 72 .

[10] إبن أبي دينار، المصدر السابق، ص 128 .

[11] محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 194 .

[12] Ernest, Sicard : **Easy French History**, Chicago, Scott, 1901, p 55 .

المطلب الثالث : الهزيمة وانسحاب الحملة :

فبوفاة لويس تلاشى الأمل الأخير الذي تعلق به صليبيو المشرق الذين اعتبروا ملوك فرنسا هم المدافعون عن مصالح بيت المقدس، فتولى شارل دانجو قيادة الحملة الذي كان يطمع في احتلال الشمال الإفريقي[1] .

و السؤال المطروح : ما هو رد فعل شارل تجاه التونسيين ؟ وهل سيتابع القتال في هذا الوضع المتدهور للحملة ؟

فعلا بدأ شارل بشن هجوم مضاد على العدو في يوم 16 محرم (669هـ/1270م)، حيث تسربت بعض السفن الحربية الصغيرة إلى بحيرة تونس لإحداث غارتين برية وبحرية وقام المسلمون بهجوم مضاد لمنع تلك العملية فردهم شارل على أعقابهم وكبدهم خسائر فادحة فبدؤوا بحفر خندق حول معسكرهم[2] .

و هنا يورد برنشفيك رواية يتهم شارل بالتخاذل فيقول : (و لكن يبدو أن شارل لم يكن يرغب في مواصلة هذا الانتصار العسكري ... إلا أنه حول استغلاله على الصعيد الدبلوماسي بالشروع خفية في التفاوض مع المستنصر الذي كان يود بدون شك قبول شروط خصمه بسرعة)[3] .

و في منتصف محرم (669هـ/1270م) وقع صدام آخر بقيادة "يحي بن صالح" وتعد هذه المعركة من أبرز المعارك التي سجلت في تلك الحملة فقد تكبد الطرفان خسائر فادحة قدر بها عدد القتلى بخمسمائة قتيل[4]، وفي صفر (669هـ/1270م) نشبت معركة جديدة إذ غار المسلمون على المعسكر الصليبي بأعداد كبيرة وسقط نتيجتها عدد من القتلى لكلا الطرفين، فأدرك كلا منهما أن الحرب ليست مجدية فبدأ يميلان إلى التفاوض[5] .

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 361 .

[2] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 92 .

[3] نفسه، ن ص .

[4] محمد المطوي، **السلطنة الحفصية**، ص 209 .

[5] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص 317 .

كما بدأ المرض ينتشر بين صفوف المسلمين، ومن ناحية أخرى بقرب فصل الشتاء أصبح رجال القبائل الرحل يهددون بالرحيل في اتجاه مراعي الجنوب[1]، كذلك انتشار الشائعات المستنصر ينوي ترك تونس والاتجاه إلى القيروان[2] .

وفي تلك الأثناء وصلت حملة "إدوارد" ولي عهد إنجلترا "هنري الثالث" الذي عزم على القيام بحملته عندما سمع بسقوط أنطاكية وكان حريصا على الاهتمام بحملته، لكن لسوء الحظ أن نبلاء إنجلترا الذين وافقوا على مرافقته أخذوا يعتذرون الواحد تلوى الآخر[3]، فخرج سنة (669هـ/1270م) بصحبته ألف رجل وأسطول صغير مكون من ثلاث عشرة سفينة مع زوجته "اليانور قشتالة" وأخيه الأمير "إيدموند" وآخرين وكان إدوارد ينوي اللحاق بالملك لويس التاسع في تونس، ومن ثم السير معه إلى الأراضي المقدسة[4] .

و هذه دلالة واضحة على أن الهدف من حملة لويس التوجه إلى تونس ثم قصد الأراضي المقدسة[5]، لكنه عندما وصل إلى تونس وعلم بموت لويس أمضى الشتاء في صقلية ثم أبحر إلى قبرص فعكا[6]، ويبدو أيضا كلا الجانبين الإسلامي والصليبي كان لديه من الأسباب القوية ما جعله راغبا في إنهاء الحرب ولكن بالرغم من ذلك فقد برزت معارضة للصلح في صفوف كلا الجانبين [7].

ففي الجانب الإسلامي رأوا ضرورة التمسك بمبدأ الجهاد ضد النصارى، أما في الجانب الصليبي فكان على رأس المعارضة الملك الجديد فيليب الذي كان يرغب في مواصلة تنفيذ مشروع أبيه، ولكن تلك المعارضة في كلا الجانبين ثم إسكاتها بسهولة، ومال الطرفان لعقد

---

[1] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 92 .

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 429 .

[3] ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 574 .

[4] زينب عبد المجيد عبد القوي، **الإنجليز و الحروب الصليبية في الفترة من 1189م – 1291م**، ط 1، عين للدراسات و البحوث والإنسانية و الإجتماعية، القاهرة، 1996م، ص ص 207 – 210 .

[5] ستيفن رنسيمان، المرجع نفسه، ن ص .

[6] زينب عبد القوي، المرجع نفسه، ص ص 211 – 212 .

[7] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 320 – 321 .

الصلح[1]، أما عن المبادرين بالصلح فابن خلدون يشير إلى أن الصليبيين هم البادؤون بطلب الصلح يقول: (... واعتزموا الإقلاع وكان أمرهم راجعا إلى العلجة فراسله المستنصر أن يبذل له ما خسروه في مؤنة حركتهم وترجع بقومها فأسعفها السلطان لما كان العرب اعتزموا على الانصراف إلى مشاتيهم)[2]، أما عن العلجة فقد تكون "إيزابيلا" زوجة فيليب أو أخته إيزابيلا ملكة نفارة اللتين كانتا مصاحبتين للحملة[3] .

فابن الشماع[4]، والباجي المسعودي[5]، وابن أبي دينار كانوا مؤيدين لابن خلدون بطلب الصليبيين للصلح فصالحهم السلطان[6]، وكانت الهدنة المعقودة باسم ملوك النصارى[7].

حيث حضر عن الجانب الإسلامي مشيخة من القضاة، فتولى عقده وكتابته القاضي[8] "أبو القاسم بن أبي اليمني ابن زيتون"[9] لخمسة عشر عاما[10]، وقد تضمن هذا الصلح مجموعة من البنود[11]

أما عن تاريخ الانسحاب فالمصادر الإسلامية لم تذكر موعدها بالضبط وينفرد ابن قنفذ بذلك ويحدد اليوم أيضا بقوله : (و في يوم الثلاثاء 24 من شهر ربيع الأول من سنة 669هـ

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق ، ص ص 320 – 321 .

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 429 .

[3] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص 321 .

[4] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 72 .

[5] الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص 63 .

[6] إبن أبي دينار، المصدر السابق، ص 128 .

[7] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 93 .

[8] ابن خلدون، المصدر نفسه، ن ص .

[9] أبو القاسم بن أبي اليمني ابن زيتون : من أهل تونس و قد ولي قضاء حاضرة إفريقية توفي بتونس في رمضان المعظم عام أحد و تسعين و ستمائة ؛ للمزيد ينظر : الغبريني (أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس) (ت 714هـ/ 1340م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح : عادل نويهص، ط 2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، إبريل 1979 م، ص 97 .

[10] ابن خلدون، نفسه، ن ص .

[11] الزركلي خير الدين، **الأعلام**، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت مايو 2002، ج 3، ص 285 ؛ ينظر : الملحق رقم (5)؛ ممدوح حسين، المرجع السابق، ص ص 710 – 712 .

رحلوا عن صلح بعد وقائع كثيرة فكانت مدة الحصار ثلاثة أشهر)[1]، أما ابن الشماع[2]، وابن أبي دينار لم يحددا تاريخ الانسحاب، وإنما حددا مدة الإقامة أربعة أشهر وعشرة أيام[3]، أما محمد مخلوف فقد قال : (نزل الفرنسيس قرطاجنة وبعد إقامته ستة أشهر توفي أميرهم ووقع صلح)[4]، فعمت الفرحة بلاد المسلمين في المشرق وازداد ارتياحهم عند سماعهم بكارثة تونس ومقتل لويس، وبالمقابل غمر الحزن صليبيو أوروبا الذين لم يصبحوا قادرين على إرسال جيش ملكي لإنقاذ المسيحيين في المشرق[5] .

و مما سبق نستنتج أن العدوان الذي قامت به القوى الصليبية على المهدية والسواحل الإفريقية، كان نتيجة لم آلت إليه من سوء سياسة أمراء إفريقية وكثرة ثوراتها الداخلية إلا أن هذا الاحتلال لم يدم طويلا، نتيجة للدور الذي لعبه الموحدون في تحرير شمال إفريقية، فقد تجمد النشاط الصليبي نسبيا في هذه الفترة، إلا أنها عادت مع حملة لويس التاسع من جديد، لكن الوباء قضى على هذه الحملة .

---

[1] ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني)(ت 810هـ/1407م)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح : محمد الشاذلي النيفر، و عبد المجيد التركي، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص 132 .

[2] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 72 .

[3] ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص 128 .

[4] مخلوف (محمد بن محمد)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، د ط، د د ن، القاهرة، 1349هـ، ص 195 .

[5] ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 503 .

الفصـــل الثالـــث

الحملات الصليبية على شمال إفريقية أواخر القرن (7-8هـ/13-14م)

المبحث الأول : الهجوم الأراغوني على إفريقية (681 هـ-688هـ/1282-1289م)

المطلب الأول : محاولة احتلال قسنطينة (681هـ/1282م)

المطلب الثاني : إحتلال جربة (688هـ/1289م)

المطلب الثالث : حركة ابن أبي دبوس (688هـ/1289م)

المبحث الثاني : هجوم جنوى على طرابلس (755هـ/1354م) وحملة لويس دي بوربون على المهدية (792هـ/1390م)

المطلب الأول : هجوم الجنويين على طرابلس (755 هـ/1354 م)

المطلب الثاني : حملة لويس دي بوربون على المهدية (792هـ/1390م)

بعدما فشل الحملات واصل العدوان الصليبي هجوماته على شمال إفريقية، فاختلفت طبيعة هذه الحملات حسب الظروف المحيطة بها والعوامل التي ساعدت على ذلك، خاصة في الفترة من أواخر القرن (السابع الهجري/ القرن الثامن)، فقد قام الهجوم الأراغوني بعدة حملات على إفريقية، كما لعبت جنوى دورا هاما في الهجوم على طرابلس، وقام لويس دي بوربون بحملة بمشاركة الجنويين كانت موجهة ضد المهدية .

المبحث الأول : الهجوم الأراغوني على إفريقية (681-688هـ/1282- 1289م)

المطلب الأول : محاولة احتلال قسنطينة (681هـ/1282م) :

بعد وفاة المستنصر سنة (675هـ/1258م) تولى الحكم ولده الواثق يحي سنة (675هـ/1258م) وكانت بيعته على يد أبي عثمان سعيد بن أبي يوسف بن أبي الحسين صاحب الأشغال بتونس[1] وقد اعتمد على علي بن أحمد الغافقي المعروف بالخير، وكان الخير كثير الإعجاب بنفسه، مفرط التعسف لا يحسن شيء من أمور سياسة الملك ولا من سياسة الرعية، فأدى ذلك إلى إتلاف المال[2] .

و فسدت أحوال البلاد بسبب كاتبه الخير[3] فوصلت هذه الأخبار إلى عمه أبي إسحاق في الأندلس الذي كان لاجئا ببلاط صاحب غرناطة، فعندما بلغه خبر وفاة أخيه اجتاز البحر متوجها إلى تلمسان وهناك رحب به يغمراسن بن زيان، ومن حينها أخذ يتحين الفرصة للذود بعرش إفريقيا[4]، وفي تلمسان أتاه وفد من تونس يستحثونه على القدوم لبيعته[5]، إلا أنه اعتقد بأنه كان لابدا له من قوة كبيرة تسانده في هذا الأمر، فما كان عليه إلا الاتصال ببيدرو الثالث ملك أرغونة الجديد طالبا منه العون[6] .

---

[1] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 134 .

[2] ابن الشماع، المصدر السابق، ص ص 74 – 75 .

[3] الزركشي (عبد الله محمد بن إبراهيم) (ت 894هـ/1488م)، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، ط 1، د ب ن، 1289هـ، ص ص 31 – 32 .

[4] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 106 .

[5] الزركشي، المصدر نفسه، ص 32 .

[6] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 452 .

فاستغل بيدرو هذه الفرصة التي ستجعل من سلطان إفريقية تحت طوعه،[1] وعند سماع الواثق بخبر وصول عمه قام بخلع نفسه، واستقر إسحاق بالبلاد وملكها سنة (678هـ/1280م)[2]، أما الواثق فقد حاول أن يثور على عمه بالاستنجاد بقائد النصارى، لكن أبا إسحاق قبض عليه وعلى أبنائه فذبحهم[3]، ثم قامت ثورة أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المعروف بالدعي سنة (680هـ/1281م)، الذي ادعى أنه الفضل بن الواثق، فسيطر على معظم البلاد، وأرسل إليه إسحاق الجيوش، لكنها فشلت في صده[4]، هذا وإن دل إنما يشير إلى الحالة السيئة التي وصلت إليها الدولة الحفصية .

بعد الإشارة إلى ما قام به إسحاق بطلبه معونة بيدرو الثالث ملك أراغونة، للوصول إلى السلطة مقابل وعده بالخضوع له، إلا أن إسحاق بعد أن سيطر على بجاية لم يقدم لبيدرو أي مساعدة أو عون وهي من الأسباب التي دفعت بيدرو لمحاولة احتلال قسنطينة[5]، وزيادة على ذلك فإن بيدرو كان يسعى لضرب المسلمين في عقر دارهم ويحتل بذلك جزءا كبيرا من الشمال الإفريقي ليجعله قاعدة لاحتلال بقية أجزائه، فمن ثم يسهل عليه ضرب المسلمين في الأندلس من الخلف، ليقطع عليهم الإمدادات والعون[6] .

فالحاصل من هذا أن أبي إسحاق بعد عودته إلى الحكم أسند ولاية قسنطينة لابن الوزير (و اسم هذا الرجل أبو بكر بن موسى بن عيسى، ونسبته في كومية من بيوت الموحدين)، وأقام ابن الوزير نائبا بقسنطينة، وولاه أبو إسحاق حافظا على قسنطينة، فاستغل هذا الأخير اضطراب الأحوال فاستبد بالأموال وعلم أن قسنطينة معقل ذلك القطر وحصنه فحدثته نفسه

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 452 .

[2] أبو الفدا، المصدر السابق، ج 3، ص 188 .

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص 33 .

[4] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 131 .

[5] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص ص 106 – 111 .

[6] أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492 – 1792**، د ط، دار البعث، الجزائر، د س ن، ص 351 .

بالاستحواذ عليها والاستبداد بالدولة[1]، فاستاء الناس من معاملته فوجهوا إلى أمير تونس عريضة مكتوبة وممضاة ضد والي مدينتهم الذي وصفوه بالخروج عن الدين والتعسف [2].

و لكن أبا إسحاق قد أغمض عينيه عن هذا[3]، وذلك بسبب انشغال أبا إسحاق بتثبيت أركان دولته وهذا لحداثتها، أيضا خشيته من امتناع ابن الوزير بقسنطينة إذا صدر منه أي إساءة، ثم انشغال أبا إسحاق بثورته مع الدعي بعد ذلك ثم كتابة ابن الوزير إليه بالاعتذار وإنكار أي تهمة ضده[4] .

و في ذلك الوقت كان ابن الوزير على دراية بما يوليه ملك أراغونة من استعدادات حربية بهدف الهجوم على المسلمين، فطلب منه ملك أراغونة الإعانة، ووعده إبن الوزير[5] بأن يضع تحت تصرفه رجاله وفرسانه وأنه سيكون ذراعه الأيمن، وحدد له في الرسالة مكان النزول مؤكدا له في حال نزوله قسنطينة سيكون الطريق مفتوحا أمامه[6] .

و هكذا بعد هذا الاتفاق بينهما[7]، إلتف حوله ثمانمائة فارس وثلاثة آلاف من الرجال أغلبهم من[8] الموكارسيون[9]، وحشر الجميع من مرسى طرطوشة ، ثم عبر البحر إلى جزيرة ميورقة التي كان يحكمها أمير مسلم خاضع لمملكة أراغون[10]، ومنها أبحر الأسطول الإسباني المكون من مائة وأربعون سفينة قادمة لمدينة القل، وما كاد هذا الأسطول يصل إلى قسنطينة حتى كان سكانها على علم بهذه الحملة[11]، فكيف تم ذلك ؟

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 439 .

[2] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 113 .

[3] نفسه، ن ص .

[4] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 470 .

[5] روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ن ص .

[6] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 94 .

[7] ابن خلدون، المصدر نفسه، ن ص .

[8] أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا**، ص 354 .

[9] **الموكارسيون** : هم إسبانيون بعد الفتح العربي، ثم عادوا إلى النصرانية بعد الاسترجاع الإسباني ؛ ينظر: نفسه، ن ص .

[10] نفسه، ن ص .

[11] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ن ص .

و كان ذلك عن طريق أمير ميورقة الذي أرسل سفينة بسرعة الريح، وأوصى رسله أن يصلوا مرسى القل قبل وصول الأسطول الإسباني متحاشين الإتصال به، وبالفعل وصلوا الرسل إلى القل وأخبروا أهالي القل، كما طلبوا منهم أن يعلموا كل أهالي الناحية حتى أهالي بجاية[1]، وهموا أهل القل حينذالك بالخروج حاملين معهم أموالهم وذخيرتهم واعتصموا بالجبال فأخلوا المدينة عند مجيء الأسطول الأراغوني في 20 من ربيع الأول سنة (681هـ/1282م) [2].

أما ابن الوزير عندما علم بمسير الأسطول أعلن العصيان ونادى بنفسه أميرا مستقلا[3]، فبعد وصول الخبر إلى أبي إسحاق بخروج ابن الوزير ومسير الأسطول الأراغوني أرسل إبنه فارس الذي زحف من بجاية في عساكره واحتشد الأعراب وفرسان القبائل، وقام ابن الوزير بإرسال وفد من أهل قسنطينة للمماطلة وربح الوقت، لكن أبي فارس أعرض عنهم وقصد قسنطينة في أول ربيع سنة (681هـ/1282م)، فثار بها وحاصرها ونصب عليها المجانيق، وقرب قواعد الرماة وقاتلها وقتل ابن الوزير وأخاه وأشياعهما،ثم أمر بإصلاح الأسوار ودخل القصر ثم بعث لأبيه يخبره بالانتصار[4] .

وبذلك عادت المدينة إلى السلطة الحفصية، حيث عين عليها وال آخر هو عبد الله الهرغي[5]، وعندما علم الملك بطرس (بيدرو) ما حصل بقسنطينة ألم به الغضب وأدرك أنه لن يتحقق هذا الهدف، لكنه نزل القل واحتلها وكانت خاوية وأحكم فيها التحصين، وأسكن جيشه في منازلها، أما أهالي المدينة يترقبونها من فوق المرتفعات فأرسل لهم الملك بطرس يتهددهم بالقدوم للحرب، فأعلموه بأنهم يعقدون مجالس الشورى، ثم أخبروه بأنهم مستعدون لعقد الصلح معه شريطة أن يرحل بجنده عن المدينة، وأن يدفعوا له مقابل ذلك مالا وأخبروه أيضا أنهم

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا**، ص 355 .

[2] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 94 .

[3] نفسه، ن ص .

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 439 – 440 .

[5] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 114 .

أعلموا السلطان بذلك، إلا أن الملك الأراغوني لم يهتم لذلك وأرسل طلائع من جيشهم إلى ما وراء خطوط التحصن لاختبار مدى قوة واستعداد الجند الإسلامي[1] .

و هكذا اقتتل كلا الطرفين فاستشهد الكثير من المسلمين وما نجا منهم إلا القليل، أما بيدرو فقد شجعه هذا الانتصار على مواصلة زحفه في أثر المسلمين[2]، ثم قام ملك أراغونة بالاجتماع مع جيشه مخبرا إياهم عن عزمه لاحتلال قسنطينة التي تمثل جزءا هاما من إفريقية، وبعدئذ تمكنه من الاستيلاء عليها كاملة، وأنه سيقوم بإرسال الرسل إلى قداسة البابا ليمده بجيش قوي[3] .

فعند وصول الرسل إلى البابا في مدينة رومة أخبروه برغبة الملك الأراغوني في العون بالمال والرجال لافتتاح إفريقيا من أجل المسيحية، لكن البابا رفض ذلك وأجابهم : (أنني لست مؤمنا بأن ملكا صغيرا كملك أراغونة، قد استطاع احتلال شيء من إفريقيا، ولا أن يستطيع عمل ما لا تستطيع عمله ملوك الإنجليز والألمان غيرهم فأنا لا أعد هذا الملك بأي إعانة)[4]، ولكن هناك سببا آخر منع البابا من الاستجابة لهذا الطلب لكون البابا فرنسيا ومناصرا لملك صقلية شارل، ولذلك لم يرغب في مساعدة عدو الأسرة المالكة بصقلية[5] .

و بعد ثلاثة أيام فقط توجه بجنوده إلى صقلية بعدما نهبوا البلاد وأضرموا فيها النار وأقلعوا عنها، ودخلها المسلمون وبذلك فشل مخطط ملك أراغونة بيدرو في احتلال قسنطينة والاستيلاء على إفريقية[6] .

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا**، ص ص 355 – 356 .

[2] نفسه، ص 356 .

[3] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 476 .

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص 356 .

[5] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 114 .

[6] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص ص 476 – 477 .

المطلب الثاني : إحتلال جربة (688هـ/1289م) ومهاجمة السواحل :

إن أمل بيدرو الثالث في احتلال شمال إفريقيا لم يتوقف عند حد معين، فبعد فشله في الزحف على قسنطينة أعاد الكرة للمرة الثانية، باتخاذه سياسة جديدة تكون له قاعدة انطلاق عملياته الحربية في احتلال الشمال الإفريقي وقد اختار جربة لتكون المنطلق لذلك، وما شجعه على ذلك الظروف الداخلية لإفريقية هذا من ناحية، ومن جهة أخرى أن ضم جزيرة صقلية لمملكته جعله يقترب من إفريقية أكثر[1] .

أضف إلى ذلك بعد الجزيرة عن مركز السلطة الحفصية وهذا وكل هاته العوامل ساعدت على احتلالها، وربما هناك ظرف آخر يذكره المؤرخ محمد العروسي المطوي أن الخلاف المذهبي بين السكان والمسؤولين الحفصيين كان له دخل في التعجيل باحتلالها[2] مستندا بقول ابن خلدون : (و رياستها يومئذ من محمد بن مهو بن شيخ الوهبية ويخلف ابن امغار شيخ النكارة) وهما فرقتا الخوارج[3]، وانطلاقا من هذا المقام الذي أسردنا فيه أوضاع إفريقيا والأسباب التي أدت إلى محاولة احتلال جربة، نطرح في صدده التساؤل حول السبب الرئيسي الذي ساهم في احتلالها ؟

و قد أشار محمد العروسي المطوي إلى ضعف سلاطينها، بحيث أنه لم يكن هناك رد فعل تجاه هذا الاحتلال ولم تذكر المصادر التاريخية أي أثر على رد الفعل[4]، والمحتمل في عدم الدفاع عنها أن السلطان الحفصي أبي حفص في اعتقاده تولى العرش بمساعدة من الملك بيدرو، وبذلك فهو تحت طوعه وأمره ولا يمكنه معارضته[5]، فهذا السبب حتى ولو لم يكن ربما رئيسيا فهو يعبر عن وضع داخلي متسبب في ذلك .

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 477 .

[2] محمد المطوي، **السلطنة الحفصية**، ص 273 .

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 447 .

[4] محمد المطوي، المرجع نفسه، ن ص.

[5] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ن ص.

و قبل أن يتوجه إليها بيدرو بادر بتوجيه ضربات مختلفة لبعض جزر وسواحل إفريقية، ففي سنة (685هـ/1286م) إتجه أسطول برشلونة في عشرين ألفا من الرجال ومروا بميورقة فتخفوا بمظهر التجار وطلبوا من أبي عمر بن حكم ورئيسها النزول للاستسقاء، فأذن لهم، فلما نزلوها هاجموا أهلها، وانهزما المسلمون، فاضطروا إلى اللجوء إلى القلعة وتمكنوا من الاستيلاء عليها، وعلى ما فيها من الذخائر وفي السنة التي بعدها غزا النصارى[1] مرسى الخزور[2] فاقتحموها ونهبوا ما فيها وأسروا أهلها وأضرموا فيها النار، ثم مروا بمرسى تونس وانصرفوا إلى بلادهم[3] بسبب تصدي أهلها، وأعاد الكرة ثانية لمهاجمة جربة في نفس ذلك العام إلا أنه أخفق أيضا في احتلالها، فهاجم مدينة القل وتمكن من اقتحامها وأباحها لجنده وانتهبوا ما فيها وتركوها خاوية[4] .

و انطلاقا من رواية ابن خلدون فعند اتجاه الأسطول الإسباني إلى جربة كان يحكمها في ذلك الوقت محمد بن مهو بن شيخ الوهبية، وكانت عدتهم سبعين مركبا من[5] غربان[6] وشواني وقد تم الاحتلال والنهب وأسر الأهالي وسبيهم[7] وأسروا ثمانية آلاف ورموا الرضع في الجبوب، ونهبوا حتى الأمتعة والأموال[8]، وقاموا ببناء حصن يسمى[9] القشتيل[10]، ووضعوا فيه حامية عسكرية وأسلحة، وفرض عليهم دفع مبالغ باهضة، وعندما سيطر قائد الحملة روجير على الجزيرة تمكن من أسر شيخ قبيلة ذياب وهو "مرغم بن صابر" الذي سيلعب دورا هاما على

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 448 .

[2] **مرسى الخزور** : مدينة من مدن إفريقية ؛ ينظر: المقدسي، المصدر السابق، ص 216 .

[3] ابن خلدون، المصدر نفسه، ن ص .

[4] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 478 .

[5] ابن خلدون، نفسه، ص 447 .

[6] **غربان** : جمع غراب و هو نوع من المراكب أخذه العرب عن القرطاجيين و الرومان ؛ ينظر : مقديش، المصدر السابق، مج 1، ص 587 (الحاشية)

[7] ابن خلدون، نفسه، ص 447 .

[8] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 150 .

[9] ابن خلدون، نفسه، ص 447 .

[10] **القشتيل** : عبارة عن حصن تعتصم فيه الحامية العسكرية ؛ ينظر : نفسه، ص 468 .

الساحة السياسية في إفريقية كما سيأتي ذكره[1]، وفي هذه السنة أو التي بعدها هاجم أسطول العدو مدينة المهدية ثلاثة أيام، لكن المسلمون تغلبوا عليهم وعادوا خائبين[2] .

المطلب الثالث : حركة ابن أبي دبوس (688هـ/1289م) :

عاد بيدرو مرة أخرى ليستغل الثائرين ويحرضهم لإثارة الفوضى في بلاد المغرب، ومن بين من ثار على البلاد "عثمان بن أبي دبوس" أحد أبناء صاحب المغرب الملك "أبو دبوس" المؤمني والذي قتل سنة (668هـ/1269م)[3] على يد بني مرين كان قد التجأ الأمير أبو مالك عبد الواحد بن أبي دبوس بعد انهيار دولته لملك أرغونة، مصحوبا في منفاه بأخيه أبي سعيد عثمان وعائلتيهما[4] .

ووجدا هنالك أبناء عمومتهما أبي زيد المنتصر الذي اعتنق دينهم حيث ذكر أحمد بك الأنصاري: (و كان لهم هناك مكان وجاه لنزوع "السيد أبي زيد" عن دينه إلى دينهم)[5]، كما التقوا بأبو الوفا مرغم بن صابر الذي وقع أسيرا في أيدي الصقليين سنة (682هـ/1283م) وباعوه لملك أراغونة[6] وعمل الملك الأراغوني على تقريب مرغم من عثمان بعقد حلف بينهم[7]، وقد تولى بيدرو الثالث العرش خلفا لأبيه خايمي الأول في سنة (675هـ/1276م) مستغلا ذلك الظرف ويحاول القدوم إلى إفريقيا مرة أخرى، وهذا ما يفسر الأسباب التي أدت إلى عقد تحالف بينه وبين ابن أبي دبوس فمنها ما يرتبط بإفريقيا، ومنها ما يتعلق بصقلية [8].

---

[1] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 125 .

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 448 .

[3] ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج 7، ص 250 .

[4] روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ص ص 129 – 130 .

[5] النائب الأنصاري، **المنهل العذب**، ج 1، ص ص 149 – 150 .

[6] النائب الأنصاري، **نفحات النسرين و الريحان فيمن ملك طرابلس من الأعيان**، تق : محمد زينهم محمد عزب، د ط، دار الفرجاني للنشر و التوزيع، د ب ن، 1994م، ص 36 .

[7] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 451 .

[8] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 482 .

فبالنسبة لإفريقيا كما ذكرنا حاول خلق جو من الفوضى في شمال إفريقيا وبالتالي تتراجع قوتها وتضعف، إضافة لذلك يجعل ابن أبي دبوس ألعوبة بيده تمكنه من تحقيق أهدافه مما يزيد التمزق والفوضى في إفريقية، كما أنه يتسبب في زعزعة ملك الحفصيين، فبالتالي يسهل عليه السيطرة والإحكام على تلك المنطقة، كما سيهيء قبيلة ذياب والتي تعتبر من أقوى بطون الهلالية لوقوفها في وجه السلطان الحفصي[1] .

ونلاحظ هنا أن ملك أراغونة بيدرو بعدما فشلت جميع خططه في غزو إفريقيا سابقا إلتجأ إلى أسلوب جديد أو بمعنى آخر أسلوب غير مباشر طمعا في الوصول إلى أهدافه المنشودة، وهذا إن دل إنما يدل أيضا على صمود أهالي البلاد رغم ما اعترتهم من ظروف قاسية .

وكانت الوضعية الجغرافية لصقلية من إفريقية جعلت الملك بيدرو يسعى إلى وضع قدم له بإفريقية تسهيلا للاستيلاء على صقلية، وأملا حتى في الوصول إلى المشرق الإسلامي بعد ذلك[2]، وفي سنة (686هـ/1287م) أبرمت معاهدة سلام وتحالف في مدينة لكة بين بيدرو الثالث والأمير عبد الواحد بن أبي دبوس الذي صرح بمطالبته لعرش تونس، فقد تضمن الإتفاق ما يلي:

- أن تقدم أراغونة عدة سفن مجهزة بالجنود والمؤونة، مقابل تسديد نفقاتها فيما بعد .
- كما تم الإتفاق على إرجاع زعيم العرب مرغم بن صابر إلى أهله مقابل دفع غرامة
- مساندة الأمير الموحدي ضد أبي حفص[3] .

و قد تم اختيار النزول بطرابلس وذلك لسببين : الأول بعد طرابلس عن مركز السلطنة الحفصية، والثاني استغلال زعامة مرغم على بني ذياب في نواحي طرابلس[4]، فتم تجهيز الأسطول وسار في البحر حتى وصلوا طرابلس سنة (688هـ/1289م)، واحتشد مرغم قومه وألزمهم على طاعة عثمان بن أبي دبوس ونازلوا البلد معه ومع جنده من النصارى فحاصروها

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 482 .

[2] محمد المطوي، **السلطنة الحفصية**، ص 272 .

[3] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 130 .

[4] نفسه، ص 278 .

بعدما بلغ واليها محمد بن عيسى الهنتاتي في الدفاع عنها[1]، لكنهم لم يستطيعوا اقتحامها رغم حصارها ثلاثة أيام برا وبحرا، بعد استلام الجيش المال المتفق عليه من طرف أبودبوس ومرغم ورجع الأسطول إلى بلاده[2] .

فالسؤال المطروح لماذا لم يتمكن ابن أبي دبوس ومرغم من اقتحام طرابلس، رغم ما تم له من إعداد وتجهيز، فضلا عن مساعدة الإسبان لهما وكذا الحصار الذي أعد له برا وبحرا ؟

و بناءا على رأي المؤرخ روبار برنشفيك يمكن القول أن الخلاف الذي نشب بين ابن أبي دبوس والأراغونيين ربما يكون هو السبب في فشلهم، حيث يقول : (سرعان ما دب الخلاف بين المسلمين وحلفائهم النصارى، ... واسترجعوا مقابل ما أنفقوه من أموال، إنسحبوا من المعركة التي تواصلت ... عدة شهور في البلاد الطرابلسية والجنوب التونسي)[3]، وهكذا استسلم ابن أبي دبوس لفك الحصار عن طرابلس، واستقدم أحمد بن أبي الليل شيخ الكعوب عثمان بن أبي دبوس، ونصبه للإمارة، وزحفا معا إلى تونس، وخرج إليهم الوزير أبو عبد الله بعساكره فهزمهم وسار بالعساكر لتمهيد الجهات والقضاء على الثائرين[4] .

المبحث الثاني : هجوم جنوى على طرابلس (755هـ/1354م) وحملة لويس دي بوربون على المهدية (792هـ/1390م)

المطلب الأول : هجوم الجنويين على طرابلس (755هـ/1354م)

إستولى زكريا بن أحمد بن محمد اللحياني بن عبد الواحد على طرابلس سنة (711هـ/1311م)، ثم غادر البلاد إلى مصر واستخلف على طرابلس صهره أبا عبد الله محمد بن أبي عمران[5] لكنه أساء السيرة، فتولى حكم طرابلس أحمد بن عربي ثم مات فقام بدلا عنه محمد بن كعبور فقتله سعيد ابن طاهر المزوغي وملك أمر البلد واستقل بأمر طرابلس إثنتي

[1] النائب الأنصاري، **المنهل العذب**، ج 1، ص 150 .

[2] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 130 .

[3] نفسه، ن ص .

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 460 .

[5] النائب الأنصاري، المصدر نفسه، ص ص 161 – 163 .

عشرة سنة ثم مات، ثم ولي من[1] بنو ثابت[2] عليهم، ثابت بن محمد ابن عمار الزكوجي من قبائل هوارة[3]، لكنه قتل وتولى ابنه محمد بن ثابت بن عمار ثم تولي ابنه ثابت بن محمد الذي شهد عهده هجوم الجنويين على طرابلس في سنة (755هـ/1354م)، فهناك عدة دوافع تجعل جنوى تختار طرابلس لهذا الهجوم منها :

1) كون طرابلس ثغرا هاما منذ عهود الدول القديمة، كما أن سواحلها الشمالية مقابلة لسواحل أوروبا الجنوبية، وكونها ممرا ومركزا للتجارة السودانية[4] .

2) إعلان ثابت بن محمد إستقلاله عن الدولة الحفصية .

هذا الاستقلال أعطى انطباعا قويا لدى الجنويين بأن السلطان الحفصي لن يتدخل في طرابلس لإنقاذها إذا هاجموها، فاستقلالها عن الدولة الحفصية حرمها من النصير وجعلها تعتمد على إمكاناتها الذاتية في الدفاع عن نفسها[5] .

3) قرب الساحل الإيطالي من طرابلس[6] وهي أكبر سوق لتجارتهم[7] جعل الجنويين كثيري التردد على طرابلس للتجارة فاكتشفوا مواطن الضعف في تحصيناتها وأضمروا في أنفسهم غزوها[8] .

4) موقعها الجغرافي فوقوعها في بسيط من الأرض على ساحل البحر مباشرة حرمها من الحصانة الطبيعية التي تمكنها من الصمود في وجه المهاجمين لمدة طويلة، كذلك قلة الأعراب

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 615 .

[2] **بنو ثابت** : هم عرب وشاحيون من بني سليم من الأسر الطرابلسية التي تسكن المدينة، و قد استقلوا بحكم طرابلس 79 سنة ؛ للمزيد ينظر : الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 267 .

[3] ابن خلدون، المصدر نفسه، ن ص .

[4] النائب الأنصاري، **المنهل العذب**، ج 1، ص ص 164 – 166 .

[5] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 503 – 504 .

[6] شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي** (مزيدة و منقحة)، تح : محمد عبد الكريم الوافي، ط 3، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، 1994م، ص 65 .

[7] أحمد الزاوي، المرجع نفسه، ص 276 .

[8] شارل فيرو، المرجع نفسه، ن ص .

في ضواحيها فقد حرمها من مصدر للمقاتلين الأشداء الذين من الممكن أن يسارعوا لنجدتها والدفاع عنها[1] .

5) أضف إلى ذلك أن جنوى كانت ترغب في استعادة مكانتها كقوة بحرية أمام منافساتها من القوى الصليبية الأخرى كما أنها ترغب في احتكار تجارة طرابلس على أمل دفع عجلة اقتصادها التي كادت أن تتوقع نتيجة للأضرار التي لحقت بها[2] بسبب إصابة البلاد بطاعون جارف[3]، وهزيمتها أمام البندقية قبل ذلك في معركة قامت بالقسطنطينية مما ألحق بتجارتها في الشرق[4] .

وبعد الاطلاع على المصادر الإسلامية إشارات عابرة تتحدث عن الهجوم الجنوي على طرابلس باستثناء ابن خلدون والعسقلاني الذي انفرد في وصف ذلك الهجوم[5]، كما يلاحظ وجود اختلاف بسيط حول تاريخ الهجوم، فابن كثير مثلا جعل سنة (756هـ/1355م) وحدد جمادى الأولى كشهر لهذا الهجوم[6]، واتفق معه ابن أبي دينار[7]، وابن الشماع[8]، أما ابن خلدون فيقول : (فاطلعوا على عوراتها وائتمروا في غزوها واتعدوا لمرساها فوافوه سن خمس وخمسين)[9]، واتفق معه الزركشي[10] ، والنائب الأنصاري[11] ، أما العسقلاني فيذكر أن الهجوم كان في سنة (756هـ/1355م)[12] .

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 504 .

[2] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 149 .

[3] أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 269 .

[4] منى فاخر النائب، المرجع نفسه، ن ص .

[5] العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي) (852هـ/1448م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج 1، د ط، د د ن، د ب ن، د س ن، ص ص 529 – 530 .

[6] ابن كثير، المصدر السابق، ج 18، ص 567 .

[7] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ص 140 – 141 .

[8] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 102 .

[9] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 536 .

[10] الزركشي، المصدر السابق، ص 80 .

[11] النائب الأنصاري، **المنهل العذب**، ج 1، ص 166 .

[12] العسقلاني، المصدر نفسه، ص 530 .

والأصح هي رواية ابن خلدون ومن قال بقوله لأنه لم يكن معاصرا لتلك الحوادث فحسب، وإنما كان قد بدأ حياته السياسية أيضا في بلاط السلطان الحفصي .

و تجمع المصادر الإسلامية أن جنوى اتبعت في هجومها أسلوب الخديعة والغدر فقد تدرعوا بأنهم تجار جاؤوا للتجارة ويروي العسقلاني تفاصيل هذه الخديعة في قوله : (فاحتال عليهم الفرنج بأن قدم منهم طائفة في عدة مراكب في صورة تجار وهم مقاتلة ... واطلعوا على سرهم وأرسلوا من عندهم ترجمانا شيخا مجربا فرأى في البلد غلاء لقلة الحب عندهم إذ ذاك فتمت له الحيلة وأشار على ثابت أن يجمع الأسلحة التي جند البلد ويجعلها عنده في القلعة، ليطمئن إليه تجار الفرنج وينزلوا من مراكبهم ويبيع ما معهم من البضائع)[1] .

وما يفهم من حديث العسقلاني أن العمل الذي يقوم به الترجمان هو نقل أخبار طرابلس إلى الجنويين وإقناع ثابت بنزع السلاح من الأهالي ولم يتوقف الجنويين عن هذا الحد بل وأغروه بالمال، حتى تمت الحيلة وقرر ثابت جمع الأسلحة من جنوده[2] .

وقال العسقلاني: (فنزل الجنويين من مراكبهم إلى طرابلس وكان معهم عدة من التين، ففرح أهل البلد وتسارعوا إلى شرائها منهم فلما اطمأنوا إليهم، تسور الفرنج السور ليلا هجموا على البلد دفعة واحدة سحرا وأهلها غافلون فقتلوا منهم كيف شاؤوا وحاصروا القلعة فهرب ثابت تدلى بعمامته من القصر)[3]، فكان هروبه لأنه يعلم ما سيلاقيه مصيره بسبب خدعته لأهل بلده من جهة ، ومن ناحية أخرى خشيته مواجهة الجنويين .

لكنه لقي مصيره وقتل هو وأخواه على يد بني ذياب لما كان بينهم من ثأر، فدخلها النصارى واستباحوها[4] إلى أن داخلهم ابن مكي صاحب قابس في صلح فاشترطوا عليه خمسين ألف من الذهب، فجمع ما عنده من مال وأجمع ما بقي من أهل قابس والحامة وبلاد الجريد

---

[1] العسقلاني، المصدر السابق، ج 1، ص 530 .

[2] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 150 .

[3] العسقلاني، المصدر نفسه، ص 529 .

[4] النائب الأنصاري، **المنهل العذب**، ج 1، ص 167 .

ودفعه لهم، فوهبوه المدينة[1]، وبقي أميرا عليها إلى أن توفي سنة (766هـ/1364م) ، فتولى مكانه ابنه عبد الرحمان بن مكي[2] .

فبالنسبة لمدة الإقامة فقد اختلفت المصادر الإسلامية في ذلك، حيث يذكر ابن كثير أن الفرنج بقوا بالمدينة خمسة عشرة يوما[3]، إلا أن كل من ابن الشماع[4]، وابن أبي دينار قالا أن مدتهم في المدينة كانت خمسة أشهر، وزاد عليه ابن أبي دينار وأربعة عشر يوما[5]، أما الزركشي فيذكر أن المدة اقتصرت على أربعة أشهر[6]، كما أن هناك رواية لليون الإفريقي تذكر بشأن أحداث الهجوم على طرابلس بأن "هلال بن ميمون" خليفة الملك التونسي أبي عنان كتب رسالته إلى عاهله يخبره فيها بما حدث وأنه صالح الجنويين على أن يؤدي إليهم خمسين ألف مثقال ... ولكن تبين لهم بعد ذهابهم أن نصف المثاقيل كان مغشوشا)[7] .

المطلب الثاني: حملة لويس دي بوربون على المهدية (792هـ/1390م)

قامت جنوى بالتفكير في احتلال المهدية مرة أخرى، فمثل هذا المشروع يتطلب منها قوة وإمكانيات تصنع لها النصر وتضمن مصالحها، فلم تر أحسن من فرنسا في تنفيذ هذا العمل وذلك لعدة أسباب أهمها :

أنها كانت تفضل فرنسا على غيرها من القوى الصليبية بسبب العلاقات الطيبة التي كانت بينهما لفترة طويلة، سواءا في المجال التجاري أو العسكري[8]، فقامت هذه الحملة بالاشتراك الثنائي بين جنوى ومملكة فرنسا ضد تونس وبالذات المهدية، مشتملة على أهداف مختلفة لكلا

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص 80 .

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 536 – 610 .

[3] ابن كثير، المصدر السابق، ج 18، ص 567 .

[4] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 102 .

[5] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 140 .

[6] الزركشي، المصدر نفسه، ن ص .

[7] ليون الإفريقي (حسن الوزان بن محمد الفاسي)، **وصف إفريقيا**، تر : محمد حجي، و محمد الأخضر، ج 2، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 99 .

[8] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 527 – 528 .

الطرفين، فجنوى كانت تهدف من ورائها إلى تأديب القراصنة المسلمين – كما تسميهم – لتحرشهم بسفنهم التجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، أما فرنسا كانت تفكر في مناصرة لويس التاسع بعد وفاته ضد المسلمين في تونس[1] .

فرضا إذا سلمنا بحقيقة أن السبب الرئيسي هو القضاء على القرصنة – كما تزعم – فبماذا نفسر هجوماتها واحتلالها لجربة سابقا ؟ أو لو كان كذلك لما استعانت بفرنسا ؟ لأن فرنسا لن تقبل العرض بدون مقابل أو هدف، كما للجنويين أهداف .

و من الطبيعي أن شمال إفريقية كان يمتاز بموقع تجاري هام، مما دفع الكثير من التجار خاصة الإيطاليين يترددون على سوسة والمهدية وصفاقس وقابس، ومما جعل المهدية موقع هام بالنسبة لأطماع جنوى[2]، فالاستيلاء عليها يعطي الحملة شهرة واسعة في أوروبا الغربية كون المهدية أكثر مدن إفريقية شهرة في أوروبا، مما يدفع ذوي النزعة الصليبية إلى الالتحاق بالحملة، فبذلك تتوفر الطاقة البشرية اللازمة لتثبيت الاحتلال ومن ثم التوسع[3] .

أولا / الإعداد للحملة :

فبعد أن وقع اختيارها على فرنسا بالاشتراك معا في الحملة قامت بإرسال سفارة إليها سنة (791هـ/1389م) لمقابلة ملك فرنسا تطلب العون في شن حملة صليبية موجهة ضد المهدية[4]، فتم الاتفاق على أن يتولى قيادة الجيش الدوق[5] الفرنسي"لويس دي بوربون"[6] .

و اتفق الطرفان المتحالفان على أن تمد جنوى الحملة بأسطول كامل مجهز بجيش من البحارة، وكان على فرنسا أن تساهم بالقوى البرية من النبلاء الإقطاعيين والفرسان والجنود وقد

---

[1] عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص 92 .

[2] سعيد عاشور، **أضواء**، ص 78 .

[3] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 551 – 552 .

[4] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 159 .

[5] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 230 .

[6] A.S.Atiya : **the crusade in the tater middle ages** V.laurent, chos d `orient tome 38,n0 195-196,1939/ http : //www.persee.fr/doc/rebyz_1146-9447_1939_num_38_195_2945_t1_0, P 469 .

بارك البابا كليمنت السابع المشروع وأعلن رسميا قيام الحرب الصليبية[1]، وهذا يوحي بلا شك على صليبية الحملة .

بدأ الاستعداد وأبحر الدوق دي بوربون من مرسيليا للالتحاق بقطع الأسطول وبعد أيام أصبح الجميع على متن الأسطول الجنوي الذي كان يحمل اثنتين وعشرين سفينة حربية وثماني عشرة سفينة شراعية بمشاركة أربعة آلاف بحار جنوي، كما وفرت جنوى ثلاثة آلاف جندي من المشاة منهم ألف من خيرة القذافين، كما تطوع بعض النبلاء الذين تراوح عددهم بين أربعمائة وألف وخمسمائة رجلا أغلبهم من الفرنسيين[2] .

وعند عودة الدوق بوربون إلى باريس في فبراير سنة (792هـ/1390م) أخذ يعمل على تدبير الأموال اللازمة، فباع قصره الذي كان في باريس، واقترض من الدوق تورين شقيق الملك مبلغ من المال، كما حصل على منحة مالية كبيرة من الملك، فضلا عما تبرع به المشاركين والمحسنين الأغنياء في الحملة، كما ساهم أكثر من دوق من مختلف الجهات في سبيل الإنفاق لهذه الحملة، ومن جهة أخرى كانت جنوى تقوم بنفس النشاط[3] .

فكانت جنوى هي نقطة تجمع القوات المشتركة، ومرسيليا مكان تجمع القوات الفرنسية، كما حدد موعد الرحيل النهائي في نهاية يونيو(792هـ/1390م)[4]، إتجه الأسطول من مرسيليا نحو جنوى لاصطحاب باقي القوات التي كانت تجمعت هناك تحت إشراف بعثة أرسلها الدوق بوربون إليها جمادى الأولى سنة (792هـ/1390م)[5]، حيث أخذ الأسطول يسير ببطء[6] بقيادة سانتوري أولترمارينو قريب الدوق، إلى أن وصل[7] ميناء بورتو فينيري مرورا من جزيرة آلب وميناء

[1] عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص 92 .

[2] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 231 .

[3] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 544 – 545 .

[4] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 162 .

[5] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 546 .

[6] ينظر الملحق رقم (6) .

[7] روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ص 232 .

كاغلياري، وبعد هذا الإبحار وصل الأسطول إلى جزيرة كونغليرا القريبة من المستنير[1]، وقد وقضى المقاتلون تسعة أيام في انتظار تجميع كل السفن وإعداد خطة عسكرية للإنزال بالمهدية والهجوم عليها[2] .

ثانيا / أحداث الحملة : بدء الحملة والمواجهة بين الطرفين المسيحي والإسلامي

قال ابن الشماع : (و عند وصول الحملة نزلت المهدية في الخامس من شهر شعبان سنة (792هـ/1390م)[3]، أما ابن خلدون ذكر أن الحملة وصلت المهدية في منتصف سنة (792هـ/1390م)[4]، أما المقريزي فقد اختلف في ذكر الشهر وذكر شهر شوال من نفس السنة[5] فأغلبية الروايات الإسلامية الأخرى لم تحدد دقة تاريخ وصول الحملة .

أما بالنسبة لعتادها فيذكر ابن الشماع ثمانية[6] محرقات[7]، بخلاف الزركشي، ومقديش اللذين يتفقا في أن العدد كان في مائة قطعة بين مراكب كبيرة وغربان[8]، أما ابن أبي دينار فيشير أن الجنويين والفرنسيين جاؤوا بثمانين قطعة[9]، وبلغ خبر استعدادهم إلى السلطان أبي العباس فسرح ابنه الأمير أبا فارس يستنفر أهل النواحي ويقوم بترصد الأسطول هنالك[10]، كما توقف الأسطول بجزيرة كونيجلبيرا مدة طويلة مما أزال عنصر المباغتة، فكانت المنطقة في حالة استنفار[11] .

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 755 ؛ ينظر : الملحق رقم (7) .

[2] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 232 .

[3] ابن الشماع، المصدر السابق، ص 111 .

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 579 .

[5] المقريزي، **السلوك**، ج 5، ص 296 .

[6] ابن الشماع، المصدر نفسه، ن ص .

[7] **محرقات** : جمع محرقة نوع من السفن يستخدم لحمل الأسلحة ؛ ينظر : منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 164 .

[8] الزركشي، المصدر السابق، ص 98 ؛ مقديش، المصدر السابق، مج 1، ص 587 .

[9] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 144 .

[10] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 578 .

[11] روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ن ص .

و ما كان من الدوق إلا أن خضع لعدم اقتراب الأسطول لما شاهده مع كبار مرافقيه من حصانة المدينة والأعداد الهائلة من الجند الإسلامي المحيط بها، ثم قام مجلس حربه للبحث في كيفية النزول إلى البر، حيث اتخذ قرار بعدم النزول دفعة واحدة، قسم قواته على ثلاثة أقسام، فكان القسم الثالث المشتمل على الإنجليز والجنوية والفرسان، مهمته الحماية ومشاغلة المسلمين بالسهام، حتى تتم عملية الإنزال[1] .

كذلك قام قادة الجند الإسلامي بعقد مجلس حربهم لبحث سبل الدفاع، فطرحت فكرتان متناقضتان إحداهما ترى التصدي للأسطول ومنعه من النزول والثانية العكس، لكي يسهل حصرهم والقضاء عليهم أو إجبارهم على الرحيل، وقد تقرر الأخذ بالفكرة الثانية، حيث تكامل نزولهم في اليوم التالي الخميس 22 يوليو سنة (792هـ/1390م)[2]، فيؤكد الزركشي أن بين الأمير أبي فارس والنصارى حدثت وقائع ومناوشات عند نزولهم بقوله : (فاتفق للمولى أبي فارس عبد العزيز مع النصارى وقائع منها في يوم نزولهم)[3] .

و انتصبوا في المضيق الذي يربط المهدية باليابسة[4] ثم قاموا بعملية الحصار حيث قال ابن خلدون : (و ضربوا عند أول الطرق سورا من الخشب بينه وبين البر حتى صار المعقل في حكمهم، وعالوا عليه بالأبراج وشحنوها بالمقابلة ليتمكنوا من قتال البلد ومن يأتيهم من مدد المسلمين وصنعوا برجا من الخشب من جهة البحر يشرف على أسوار المعقل لتنظم نكايتهم)[5]، ثم أمر لويس البوربوني قواته في 24 شعبان سنة (792هـ/1390م) بحصارها بحرا وبرا، وقد استطاع المسلمون صدهم والخروج من المدينة بعد حصار دام ثلاثة أيام، وقاموا بهجوم مفاجيء مضاد على القوات المسيحية، لكنه باء بالفشل ورجعوا إلى أسوار المدينة بعد أن

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 555 – 556 .

[2] نفسه، ص 556 .

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص 98 .

[4] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ن ص .

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 579 .

خسروا عددا من القتلى[1]، ولكن وصلت لأبي فارس أفواجا من الجنود والقواد وجمعهم بقيادة أخيه أبو زكرياء[2] واستقر القواد على ربوة صغيرة وجها لوجه مع العدو، فاضطر العدو إلى القتال من الأمام والخلف خوفا من خطر المسلمين[3] .

فقد أحاط الدوق المعسكر بسياج من الحبال وعزز ذلك بمجاذيف السفن[4] بعد أن أقلق تجمع القوات الإسلامية القوى الأوروبية حتى سرت همسات بين الجنود النصرانية تدعوا إلى رفع الحصار عن المدينة لمواجهة المسلمين، لكن الدوق بوربون رفض ذلك فعقد مجلس حربه لدراسة الموقف[5] .

فأهالي إفريقية الذين كانوا يتمتعون بوضعية تكتيكية ملائمة أكثر، لم يستثنوا أي معركة ثائرة ولم يقوموا بأية عملية مشتركة، فقد كانوا حريصين على تطبيق الطريقة الحربية التي كانوا يستعملونها ضد الجنود الأوروبيين المتفوقين عليهم بالعدة والعتاد، واكتفى المسلمون بأعمال الكر والفر المثيرة للأعصاب معولين على الطقس وإنهاك الخصم ليستسلم[6]، فقد أدت زيادة هذه الغارات المفاجئة وصمود الحامية داخل المدينة واضطرار الجيش الأوروبي للبقاء في أسلحتهم ودروعهم الثقيلة طوال اليوم من ضيق الأوروبيين، إضافة إلى فشل محاولاتهم لجر المسلمين للدخول معهم في معركة حاسمة[7] .

[1] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص ص 166 – 167 .

[2] مقديش، المصدر السابق، مج 1، ص 587 .

[3] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 232 .

[4] نفسه، ن ص.

[5] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 559 .

[6] روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ص ص 232 – 233 .

[7] ممدوح حسين، ومصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص 560 .

فأخذ لويس البوربوني يفكر في القيام بهجوم قوي على المسلمين عله يرفع معنويات جنده[1]، فشدة الحرارة مع نقص المؤونة في المعسكر، زيادة إلى أزمة مياه الشرب التي عانى منها الجيش الصليبي[2] .

و بعد فشل الصليبيون في تحقيق النجاح بهذه الحملة أدرك الدوق أن بقاء جيشه في هذا الوضع دون الوصول إلى نتيجة حاسمة خاصة وأنهم أصبحوا شبه محصورين بين أهالي المدينة من جهة والقوات الإسلامية المعسكرة في خارجها، فرأى ضرورة القيام باحتلال المدينة قبل تفاقم الوضع أكثر، فعقد مجلس حربه للتباحث في هذا الموضوع واقتضى ببدء الهجوم على المدينة وأبدى الجنوية أثناءها استعدادهم لصنع برج خشبي كبير من ثلاث طوابق وسلمين لنصبها على أسوار المدينة واقتحامها كما اتفق على خطة يبدأ فيها الهجوم من البر أولا [3].

فإذا ما تركز دفاع الحامية الإسلامية على تلك الناحية تخلو ناحية البحر من الدفاع فيتم اقتحام المدينة على يد القسم الآخر من القوات الصليبية[4]، وهكذا شرع الصليبيون في شهر رمضان (792هـ/1390م) في شن هجومهم على المدينة من ناحية البر وتم جر البرج الخشبي إلى أحد أبراج السور المواجهة للبر لأنه أقل استعدادا من غيره[5] .

و اشتد القتال عند باب الفتوح وهي البوابة الرئيسية للمدينة، فتصدت الحامية للمهاجمين بقوة وشجاعة[6] ثم تداركت عليهم الحجارة والسهام والنفط حتى احترق البرج الخشبي[7]، فاضطر المهاجمون إلى التراجع والانسحاب من البر والبحر بعد أن تكبد الفريقين خسائر كبيرة، وقد

---

[1] ممدوح حسين، ومصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 560 .

[2] سعيد عاشور، **أضواء**، ص 69 .

[3] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص 564 .

[4] نفسه، ن ص.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 579 .

[6] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، نفسه، ص 565 .

[7] ابن خلدون، المصدر نفسه، ن ص .

حاول الدوق بوربون معاودة الهجوم بتجهيزات جديدة، لكن الجيش الجنوي أخبره بنفاذ الكمية، مما أفقده الأمل في تحقيق أي نتيجة[1] .

ثالثا / الإستسلام وعقد الصلح :

وهكذا انتهت المعركة بتفوق المسلمين بعدما واجهت الصليبيين عدة أزمات كما ذكرناها آنفا، أضف إلى ذلك خشية الأوروبيين من إدراك فصل الشتاء وهم في إفريقية[2]، ومما زاد الوضع لديهم تأزما سبب هام ورئيسي وهو شدة المقاومة الإسلامية[3]، كما مثلت شخصية قائد الحملة سببا في الفشل الذريع نتيجة لكبريائه وقيادته الغير حكيمة وخلافه مع القادة[4]، كما أشار الزركشي إلى الخلاف الذي دب بين الجنويين والفرنسيين بقوله :(ثم إن النصارى اختلفوا فيما بينهم وأراد الجنوي الغدر بالفرنسي)[5] .

بالمقابل لم يكن المسلمون أقل رغبة في إنهاء الحرب، حيث لو أقام الصليبيون على المهدية حتى فصل الخريف لأمدت أوروبا بقوات جديدة، مما ينعكس على ضعف المدينة وأهلها عن المقاومة[6] هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى خشية السلطان الحفصي من أن يواجه ثورات جديدة بعدما أخمدها زمن اعتلائه العرش منتهزين فرصة انشغاله بمواجهة العدو، وفي ظل هذه الظروف قبل الدوق بعد شيء من التردد، التفاوض مع السلط الإسلامية حول الانصراف[7]، واتفق الطرفان على الهدنة لمدة عشر سنوات تقتضي ما يلي :

1) إيقاف أعمال القرصنة من قبل المسلمين .

2) أن يدفع السلطان ضريبة سنوية مدة خمسة عشرة عاما[8] .

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 566 .

[2] محمد المطوي، **السلطنة الحفصية**، ص 539 .

[3] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص 569 .

[4] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 233 .

[5] الزركشي، المصدر السابق، ص 98 .

[6] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، نفسه، ص 571 .

[7] روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ن ص .

[8] عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص 93 .

3) و أن يدفعوا في ظرف سنة واحدة مبلغ خمسة وعشرين ألف دوكا[1].

فتقرر عقد الصلح بموجب هذه الشروط التي اعتبروها نصرا يعوضهم الفشل في الاستيلاء على المهدية، وقد تقرر رحيل الصليبيين شهر شوال (792هـ/1390م)، ويبدو أن الدوق بوربون أثناء الرحيل نصب كمين من مائتي مقاتل ومائة رام خشية مهاجمة المسلمين لجيشه الذين قاموا ببعض المناوشات أثناء الانسحاب، لكن سرعان ما قضى عليه الدوق وتم الانسحاب بسلام بعد ذلك[2] .

رابعا / نتائـــج الحملــة :

- فلم تسفر عن تحقيق أي هدف من أهدافها[3]

- كما أنها لم تستطع معاقبة القراصنة على حد تعبيرهم بل أصبح المسلمون هم سادة البحر[4]

- أما عن السلطان الحفصي فقد وطد مركزه وازداد احتراما في الداخل والخارج واستطاع تمتين العلاقات والصداقة بين تونس من جهة ومصر والمغرب من جهة أخرى، أما جنوى بعد عقد الصلح سعت لتحويل الهدنة بخصوص الحرب إلى هدنة دائمة، بإرسال مبعوثها إلى السلطان لكنها دون جدوى ثم بعثت للسلطان ثانية في 16 ذي القعدة (793هـ/1391م)، فأمضي اتفاق رسمي تم بمقتضاه تمديد معاهدة (784هـ/1383م) التي حكمت الأحداث بإلغائها، وذلك لمدة عشر سنوات[5] .

ومما سبق نستنتج أنه رغم محاولات أراغونة في الاستيلاء على شمال إفريقية وجعلها قاعدة لمنطلقاتها المستقبلية، فكثفت كل الجهود لذلك فقد أخفق هذا العدوان في كل مرة ، كما أن الهجوم الجنوي على طرابلس لم يستطع احتلالها والتصدي لها، أما حملة لويس دي بوربون على المهدية فقد فشل في تحقيق نجاحها، لكن شمال إفريقية لعبت دورا بارزا في الدفاع عن مدنها.

---

[1] روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 234 .

[2] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 574 – 575 .

[3] منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 174 .

[4] روبار برنشفيك، المرجع نفسه، ن ص .

[5] نفسه، ن ص .

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الحروب الصليبية في بلاد المغرب الأدنى من القرن (5هـ – 11م/ 8هـ – 14م)، توصلنا إلى العديد من النتائج والتي يمكن إيجازها فيما يلي :

-إن خلفيات الحروب الصليبية مرتبطة بما أخذت شمال إفريقية من مكانة ذات أهمية بالنسبة للكنيسة والعالم المسيحي، جعلت منها محل اهتمام وأنظار العالم الغربي منذ القدم .

-كما لعبت فتوحات المسلمين وانتصاراتهم التي حققوها في صقلية والأندلس حتى وصلوا قلب أوروبا في معركة بواتييه بفرنسا (بلاط الشهداء) دورا بالغ الأثر، حيث أفرزت انعكاسات خطيرة في الغرب الأوروبي في جميع الميادين، وأصبح يحسب للقوة الإسلامية ألف حساب، مما زاد من حدة العداء والتفكير في استرداد الغرب المسيحي كرامتهم وماء وجههم التي سلبت بعدما كانوا قوة تنهب وتقتل وتسلب كل شيء، وهذا ما خلف آثارا لا يحمد عقباها .

-كما أن ظروف وأوضاع واقع المجتمع الإسلامي في بلاد المغرب جراء صراعات سياسية ومذهبية والتي أدت إلى ضعفها وتمزيقها منذ العهد الزيري، فازدادت سوءا إلى غاية العهد الحفصي، فكانت حالة مغرية للنصارى بالاقدام على أخذ الثأر ورد الفعل وقد طال انتظار الأمم النصرانية لهذا الأمر، فكانت أواخر القرن الخامس الهجري أحسن فرصة للانطلاقة، وهذا وإن دل إنما يدل على الضعف العام الذي نخر قوة الشمال الإفريقي، وليس قوة المسيحيين لأن انتظارهم للفرصة المناسبة لم يتم إلا بدراسة وترقب كل الأوضاع ومن جميع النواحي، فلو كان الوضع عكس ذلك لما استطاع مسيحيو أوروبا حتى التفكير في هذه البلاد .

-إن السبب الرئيسي وراء قيام هذه الحملات مرتبط بأوضاع غرب أوروبا خلال القرن الخامس هجري فأوضاعها خلقت هذه الدوافع كما مثل الجانب الاقتصادي، دورا مهما عبر عن سوء الأحوال الإقتصادية في غرب أوروبا، وما جره من اشتراك لكل طبقات المجتمع الأوروبي، خاصة بعد الخطاب البابوي الذي أفصح من خلاله عن سوء الأحوال الاقتصادية، وما للبلاد الإسلامية من أراضي وثروات يمكن استغلالها، أما السبب السياسي والاستراتيجي لا يعد إلا من الدوافع الإستثنائية تخص البابوية والحكام تقريبا، أما الدافع الاجتماعي ما هو إلا انعكاس

لتلك الأوضاع وعلى رأسهم الإقتصادي، والدافع الديني لم يكن أبدا سوى غطاء تحت راية الصليب لإخفاء أهداف هذه الحركة .

-إن النشاط التنصيري الذي شمل بلاد إفريقية، وكذا المشاريع التي خطط لها لم تحقق شيئا، إلا الخيبة وتراجع أحلامهم التبشيرية وخططهم العسكرية والاقتصادية، ومهما يكن فإن هذه المشاريع هي تعبير واضح عن حضور إفريقية القوي في وجدان الحركة الصليبية .

-إن الحروب التي قامت ببلاد المغرب في الفترة المدروسة من القرن (الخامس هجري/ الحادي عشر للميلاد) إلى غاية (القرن الثامن هجري/الرابع عشر للميلاد)، قد أخفقت وباءت كلها بالفشل رغم السلسلة الطويلة والمريرة من هذا الصراع، فربما حققت هذه الحملات جزءا يسيرا من هذه الأهداف والمتمثلة في بعض المكاسب الإقتصادية، كما أن سياسة أمراء الشمال الإفريقي الغير حكيمة التي من شأنها تسهيل مهمة احتلالها من طرف العدو الصليبي، ما زاد سكان إفريقية إلا إصرارا على النصر في جبهات الصراع المسيحي الإسلامي .

و ما يمكن قوله بعد استخلاص ما توفر لدينا من معلومات حول موضوع الحروب الصليبية على بلاد المغرب أن هذه الحملات التي وجهت إلى شمال إفريقية حملات صليبية مائة بالمائة، بدليل مباركة البابوية لها، فمهما تعددت أسباب هذه الحملات فإنه يدل على أهمية هذه البلاد بالنسبة للغرب المسيحي، كما أنها لم تحقق ولو هدفا واحدا اللهم إلا شيئا يسيرا لا يعد أمام ما خسرته هذه الحملات من نفقات مادية وإمكانات بشرية وغيرها يمكنها من السيطرة على المنطقة لجعلها قاعدة تنطلق منها إلى المشرق العربي .

الملاحق

الملحق رقم (1) : خريطة بلاد المغرب[1]

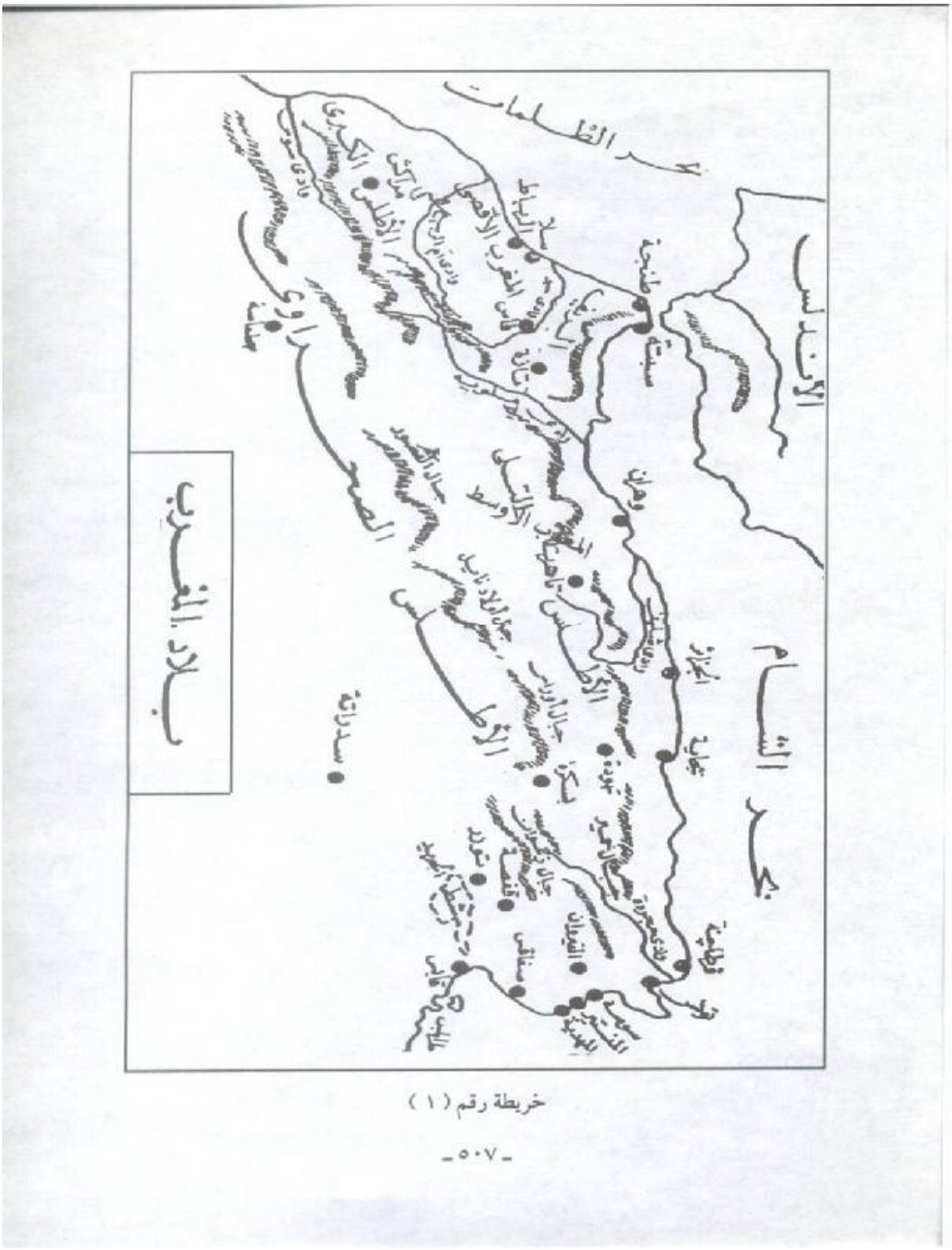

[1] حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، ص 507 .

الملحق رقم (2) : خطابات البابا أوربان الثاني في الدعوة إلى الحروب الصليبية .

1) خطاب أوربان الثاني إلى كل المؤمنين في الفلاندرز في ذي القعدة 488هـ/ديسمبر/1095م :

(إننا نعتقد، أيها الأخوة، أنكم علمتم منذ زمن طويل من مصادر عديدة بالأخبار المحزنة عن أن البرابرة، في هياجهم، قد غزوا ونهبوا كنائس الرب في الأقاليم الشرقية و الأسوأ من ذلك أنهم استولوا على مدينة الرب المقدسة التي ازدانت بعذابه و قيامته – و هذا قول فيه تجديف – باعوا كنائسهم في عبودية مقيتة. وإذا فكرنا بإخلاص في هذه المصيبة، وخزنا بسببها، فإننا زرنا بلاد الغال و حرضنا السادة و الرعايا بحمية في هذا الإقليم على تحرير الكنائس الشرقية.و في مجمع عقد في أوفريني، كما هو معلوم فرضنا عليهم التزامات بأن ينجزوا مثل هذا المشروع العسكري لمحو كافة خطاياهم. و عينا نائبا عنا قائدا لهذه الحملة و هذا العمل، و هو إبننا العزيز أدمیار، أسقف لي بوي. ويترتب على هذا أن كل من يقرر أن يذهب في هذه الرحلة يجب أن يطيع أوامره كما لو كانت صادرة، و يجب أن يخضع لسلطانه تماما في الحل و العقد في أية قرارات به و متصلة بعمله. و إذا نادى الرب أو الرجال من بينكم لآخذ هذا القسم، فأنهم يجب أن يعملوا أنهم سوف ينطلقون، بعون الرب في عيد صعود مريم العذراء (15 أغسطس) و أن ينضموا إلى رفاقهم في هذا اليوم) .

2) خطاب أوربان الثاني إلى أتباعه في بولونيا في 27 ذي الحجة 490هـ/15 سبتمبر/1096م :

(نقدم شكرنا إلى نيافتكم، لأنكم على الرغم من وجودكم بين الإنشقاقيين و الهراطقة، وقف بعضكم دائما بصلابة في الدفاع عن العقيدة الكاثولوكية، على حين أن الآخرين ممن تجلت لهم الحقيقة برحمة الرب تركوا سبيل الخطأ، و هم الآن حكماء في مذاهب العقيدة الكاثولوكية، و من ثم فإننا نشجعكم يا أحباء الرب على أن تواصلوا بشجاعة السير على درب الحقيقة، و أن تحاولوا إنهاء ما بدأتموه على هذا الشكل الطيب، في نهاية أفضل، لأنه ليس ذلك الذي يبدأ، و إنما ذلك الذي يواصل حتى النهاية هو الذي سينال الخلاص. و قد عينا خاصة لمحبتكم أخانا المبجل الأسقف برنارد، الذي تناسب رعايته المقدسة نيابة عنا جماعتكم كرعية. و إذا كنتم تحبون الرب فإنكم يجب أن تظهروا هذا الحب لنائبه، لأن المسيح نفسه قال عن مثل هذا الشخص : أن من يسمعكم يسمعني. و قد سمعنا أن كثيرين منكم قد هاجهم الشوق للذهاب إلى

أورشليم، و هو ما يجب أن تفهموا أنه قد سرنا كثيرا. و يجب أن تعلموا أيضا أنه إذا ذهب أي رجال منكم إلى هناك، لا لرغبتهم في المكاسب الدينيوية، و إنما فقط لخلاص أرواحهم لتحرير الكنيسة، فإننا بمقتضى سلطتنا، و سلطة كل كبار الأساقفة، و كل أساقفة بلاد الغال، بفضل رحمة الرب العظيم و صلوات الكنيسة الكاثوليكية، نعفيهم من التكفير المفروض عليهملقاء خطاياهم التي اعترفوا بها اعترافا كاملا، لأنهم خاطروا بأملاكهم و حياتهم في حب الرب و حب جيرانهم. و لكننا لا نسمح للرهبان أو القساوسة بالذهاب ما لم يحصلوا على إذن من أساقفتهم و مقدمي أديرتهم. كذلك يجب على الأساقفة أن يحرصوا على عدم السماح لرعايا أبرشياتهم بالذهاب بدون النصيحة و بدون علم القساوسة المسبق، كما يجب أن تراعوا أن الشباب المتزوجين لا يجب أن يندفعوا في رحاة طويلة كهذه دون موافقة زوجاتهم. وليساعكم الرب العظيم في خشيته و في حبه، و ليقودكم هو و قد تحررتم من الآثام و الأخطاء، و ليرشدكم إلى أن تفهموا كيف تحبونه فوق كافة الأشياء، وتبدون له الإخلاص الحقيقي) .

3) خطاب أوربان الثاني إلى جماعة دير فالومبروسا في 17 رمضان 490 هـ/7 أكتوبر/1096م :

(لقد سمعنا أن بعضكم يريدون الإنطلاق مع الفرسان الذاهبين إلى القدس بقصد طيب لتحرير المسيحية. وهذا نوع من التضحية الحقة، و لكن خطته جاءت من أشخاص غير مناسبين، لأننا كنا نستفز أذهان الفرسان للذهاب إلى هذه الحملة، لأنهم قد يكونون قادرين على كبح وحشية المسلمين بسلاحهم و يعيدون للمسيحيين حريتهم السابقة،و نحن لانريد لأولئك الذين هجروا العلم و نذروا أنفسهم للحرب الروحية أن يحملوا السلاح أو يذهبوا في هذه الرحلة، بل إننا نمنعهم من عمل ذلك. كما أننا نمنع المتدينين – من القساوسة و الرهبان – من أن ينطلقوا في هذه الصحبة دون إذن من أساقفتهمأو مقدمي أديرتهم وفقا لحكم االقوانين الكنسية المقدسة. فإن سلامة التقدير في مهنتكم الدينية يجب أن تمنعكم من المخاطر بإهانةالكرسي الأسقفي أو تعريض أرواحكم للخطر. و قد سمعنا أن زميلكم، مقدم دير سان ريبارتو، يفكر في ترك جماعتكم و ترك نظامكم الديري بأسره، و هكذا فإننا في هذا الخطاب نرسل له أمرا و به نعني أننا نمنعه من أن يجرؤا على حكم نفس الدير بعد ذلك دون إذن من رئيسكم العام، الذي تسمونه المقدم الإسمي، و إذا لم يمتثل بالطاعة، هو وكل من يجرؤا على تركجماعتكم، يجب قطعه بسيف الحرمان الرسولي.

حرر في كريمونا في السابع من أكتوبر. و نحن نريد منكم قراءة هذا الخطاب على الرهبان المجتمعين و الأخوة العلمانيين، و لتعلمالأديرة الأخرى بمحتواه) .

4) خطاب أوربان الثاني إلى كونتات بيسالو، و امبورياس، وروسيللون، و سردينيا و فرسانهم ما بين محرم 490هـ إلى 9 رمضان 493 هـ/ يناير1096م إلى 29 يوليو/1099م :

(إننا نتوسل إلى سيادتكم بحرص شديد لصالح المدينة أو لصالح كنيسة تراجونا، و نأمركم أن تبذلوا جهدا حماسيا لاستعادتها بكل وسيلة ممكنة لمحو خطاياكم لأنكم تعلمون كم ستكون دفاعا عظيما لشعب الرب و كيف ستكون ضربة مرعبةللمسلمين، إذا ما شاءت رحمة الرب، إذا ما تمت استعادة موقع هذه المدينة الشهيرة. و إذا كان الفرسان في ولاية أخرى قد قرروا جميعا أن يذهبوا لمساعدة الكنيسة الآسيوية و أن يحرروا إخوانهم من طغيان المسلمين، فكذلك يجب عليكم جميعا و بتشجيعا أن تبذلوا قصارى جهدكم لمساعدة كنيسة قريبة منكم هكذا لمقاومة غزوات المسلمين. و لا ينبغي لأحد أن يشك في أنه لو مات في هذه الحملة حبا في الرب و في إخوانه، فإن خطاياه سوف تغتفر، و سوف ينال بالتأكيد نصيبه في الحياة الخالدة بفضل رحمة الرب الواسعة...لإنه ليس من الخير في شيء أن تنقذ المسيحيين من المسلمين فقطلكي تعرضهم في مكان آخر لطغيان المسلمين و اضطهادهم. فليوقظ الرب العظيم في قلوبكم حب إخوانكم و يكافئكم على بسالتكم بالنصر على الأعداء)[1] .

[1] أحمد بن خيرة، المرجع السابق، ص ص 209 – 211 .

الملحق رقم (3) : الطرق الخمسة من مشروع رامول لول .

1) الطريق البري عبر شرق أوروبا إلى القسطنطينية و منها إلى أرمينيا الصغرى ثم بلاد الشام، لكن هذا الطريق كثير المخاطر و النفقات .

2) الطريق البحري على مصر مباشرة و إلى مدينة رشيد بالذات المجاورة للإسكندرية، و يرى أنه يمكن إحتلال رشيد بسهولة على أن هذا الطريق في رأيه طويل و باهظ التكاليف .

3) الإبحار إلى قبرص لكنه يبدأ في تعداد المصاعب و المعوقات لاستعماله فيرى أن طريقه طويل و يحتم على جنود الحملة أن يتقنوا القتال في البحر و البر إضافة إلى صعوبة أخرى هي عدم توفر مواد التموين اللازمة في تلك النواحي لإعادة تموين الجيش

4) طريق إفريقية أي الإبحار إليها مباشرة و احتلالها و اتخاذها قاعدة انطلاق إلى المشرق، لكن نظرا لفشل لويس التاسع فإنه يقول بأن على الصليبيين أن لا يكرروا التجربة بالإبحار إليها مباشرة .

5) الطريق الخامس يراه أفضل الطرق و هو الذي يبدأ بالأندلس فيرى أن إسبانيا المسيحية بلاد خصبة و كثيرة الخيول مما يوفر للجيش حاجته منها كذلك قربها من باقي دول غرب أوروبا يسهل على جميع القوى الأوروبية الوصول إليها بيسر، حيث يبدأ الصليبيون كفاحهم ضد المسلمين بالقضاء على مملكة غرناطة آخر معاقلهم في الأندلس لأنها محاطة بالبحر من جهة و بمملكتي قشتالة و أرغونة من جهة أخرى مما يجعل الأمر صعبا على مسلمي العدوة مديدة المساعدة إليها حينما تتقدم الجيوش المسيحية لاحتلالها .

لذلك فإن جيشا مسيحيا صغيرا يستطيع الإستيلاء عليها دون عناء كبير و باحتلال هذه المملكة تكون الحملة الصليبية المقترحة قد حققت هدفا هاما من أهداف الحركة الصليبية المتمثل في طرد المسلمين من الأندلس .

و بعد ذلك لا يبقى أمام تلك الحملة إلا عبور مضيق ضيق هو مضيق جبل طارق لمحاربة المسلمين في العدوة المغربية و الذي لا يشكل أي خطورة و تكون مدينة سبتة هي نقطة البداية لهم في تلك العدوة ثم الزحف شرقا إلى إفريقية مجتاحة في طريقها مملكة بني زيان (عبد الواد) في المغرب الأوسط ثم تكتسح إفريقية ثم مصر سالكة طريق البري بمحاذاة الساحل ثم الديار

المقدسة يتم ذلك في نفس الوقت الذي يتخذ فيه الأسطول الصليبي مالطة ورودس قاعدتين له لمساعدة الحملة البرية في زحفها إلى المشرق[1] .

[1] ممدوح حسين، المرجع السابق، ص ص 369 – 370 .

الملحق رقم (4) : مسار حملة لويس التاسع إلى تونس .

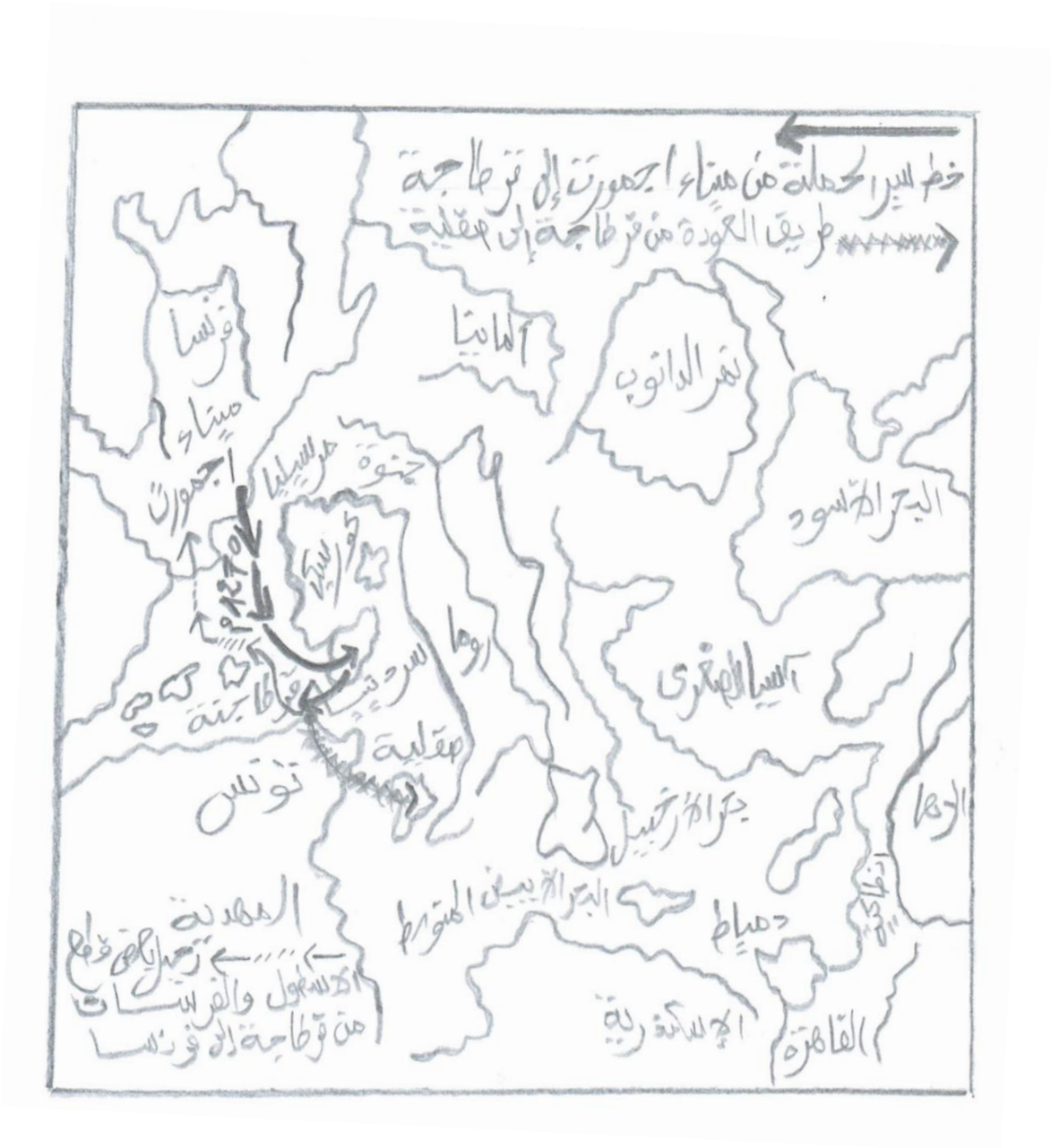

من انجاز اعضاء المذكرة

الملحق رقم (5) : وثيقة الصلح بين المستنصر الحفصي و الصليبيين[1] .

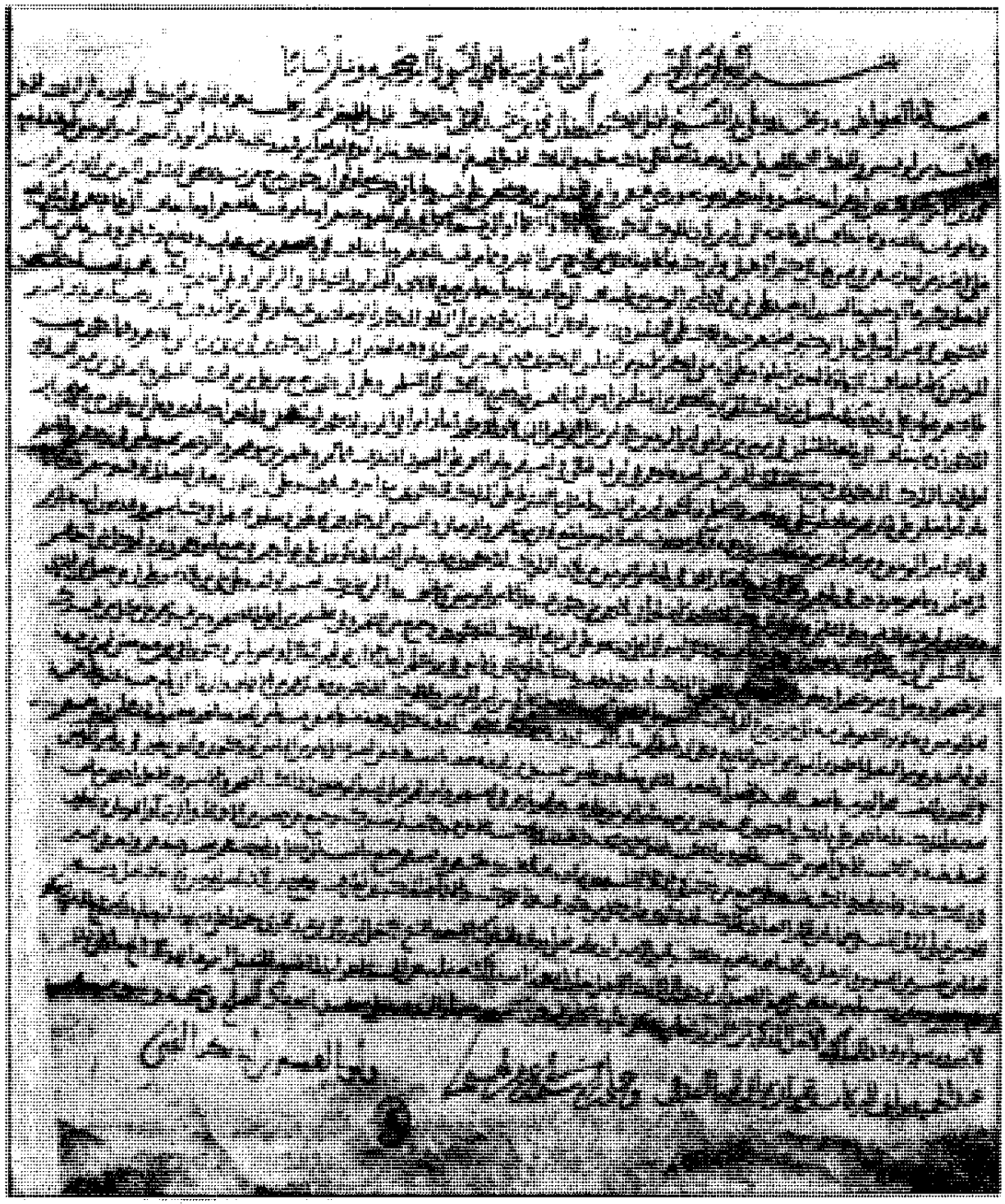

[1] الزركلي، المصدر السابق، ج 3، ص 285 .

الملحق رقم (6) : سير حملة لويس دي بوربون على المهدية .

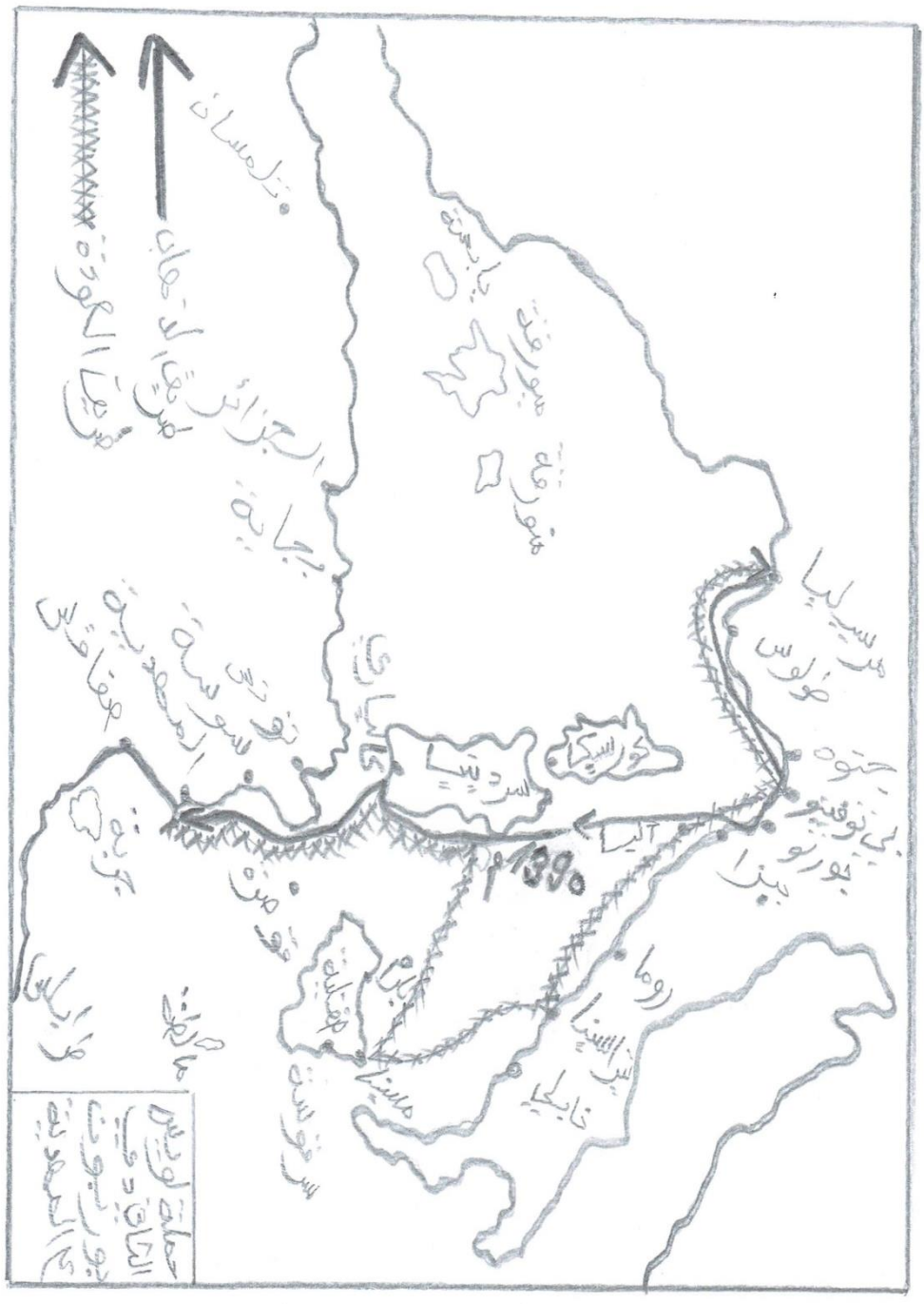

من انجاز اعضاء المذكرة

الملحق رقم : (7) صورة عن الحملة الصليبية على المهدية سنة (792هـ/1390م)[1]

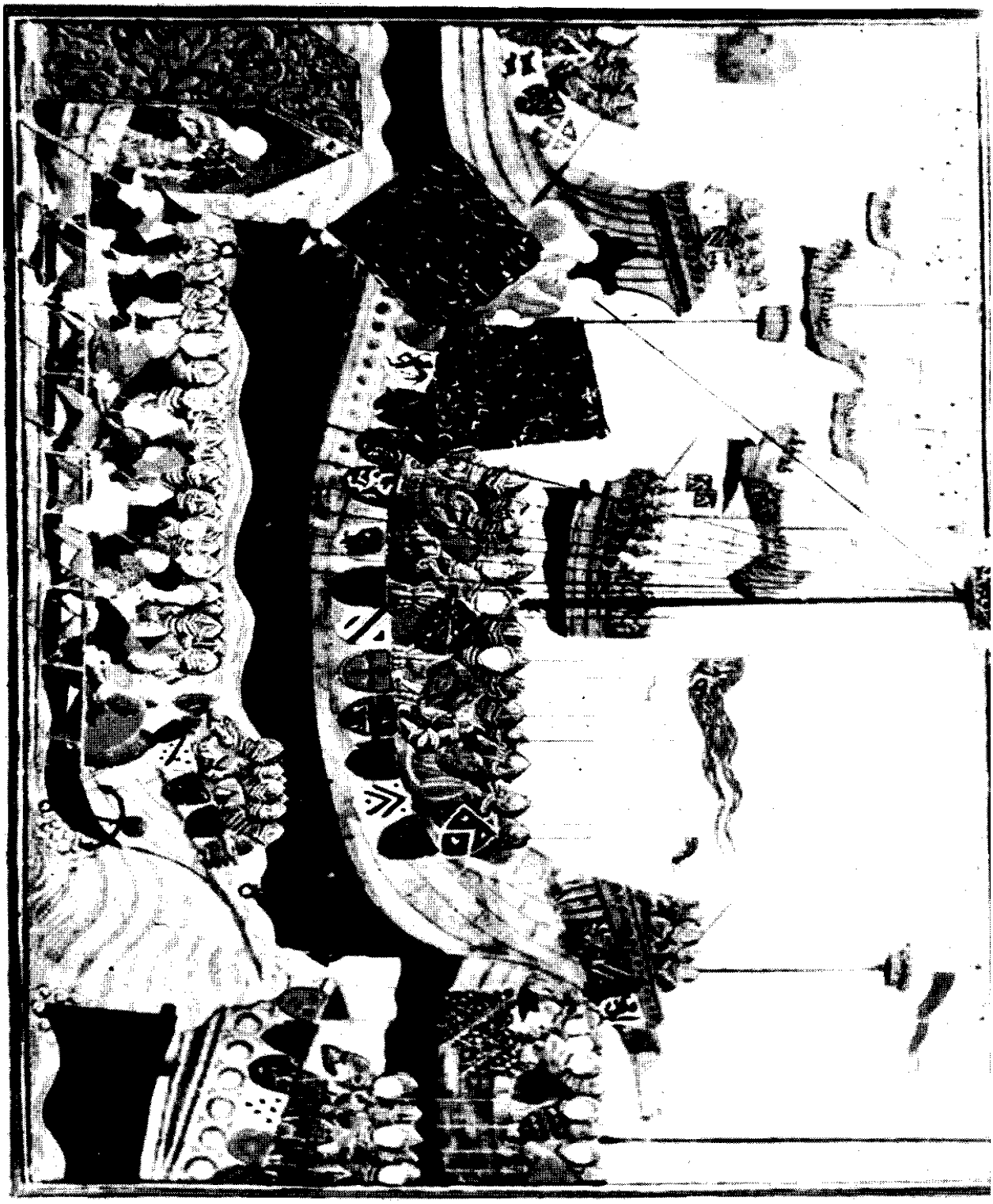

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 748 .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أولا / المصـــادر

1) ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت أواخر القرن 11هـ/17م)، **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس**، ط 1، مطبعة الدولة التونسية، د ب ن 1286م .

2) ابن أبي زرع (أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي)، **الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، تص و تر : كارل يوحن تورنبرغ، د ط، د د ن، أوبسالة 1843م .

3) ابن إسحاق (محمد بن يسار المطلبي المدني) (ت 151هـ/768م)، **السيرة النبوية**، تح : أحمد فريد المزيدي، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2004م

4) ابن الأبار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي)، **الحلة السيراء**، تح وتع : حسين مؤنس، ط 1، دار المعارف، القاهرة 1963م، ج 2 .

5) ابن الأثير(أبي الحسن علي بن الكرم محمد) (ت 630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، تص : محمد يوسف الدقاق، مج 4، مج 5، مج 8، مج 9، ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2002م .

6) ابن الخطيب (لسان الدين) (ت 776هـ/1375م)، **أعمال الأعلام**، تح : أحمد مختار العيادي، و محمد إبراهيم الكتاني، ج 3، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م .

7) ابن الخطيب، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، ط 1، تص : البشير الفورتي، دار مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1329هـ .

8) ابن الشماع (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح : طاهر بن محمد المعموري، د ط، دار العربية للكتاب، تونس، 1984م .

9) ابن القطان (أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي) (منتصف القرن السابع الهجري)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح : محمود علي مكي، ج 3، د ط، د ب ن، د س ن .

10) ابن أمير المؤمنين (إسماعيل بن إبراهيم) (ت1237هـ/1821م)، **تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط (من خلال مخطوط تاريخ الأندلس)**، عر : أنور محمود الزناتي، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1428هـ/2007م .

11) ابن أيبك الدواداري (أبي بكر بن عبد الله)، **كنز الدرر و جامع الغرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)**، تح : أولرخ هارمان ج 8، د ط، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1391هـ/1971م .

12) ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي) (ت 874هـ/1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة**، ج 7، د ط، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د س ن .

13) ابن جبير (أبي الحسين محمد بن أحمد) (ت 614هـ/1217م)، **رحلة ابن جبير**، تح : حسين نصار، د ط، مكتبة نصر، القاهرة، 1992م .

14) ابن حزم (أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي) (ت 456هـ/1073م)، **جمهرة أنساب العرب**، تح : عبد السلام محمد هارون، ط 5، دار المعارف، القاهرة، 1982م .

15) ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي)، **صورة الأرض**، د ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م .

16) ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ/1405م) : **ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، مرا : سهيل زكار، ج 5، ج 6،د ط، دار الفكر، بيروت 1421هـ/2000م .

17) ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر) (ت681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تح : إحسان عباس، مج 5، د ط، دار صادر، بيروت، د س ن .

18) ابن عبد الحكم (أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) (ت 257هـ/871م)، **فتوح مصر و المغرب**، تح : شارلز توري، ج 2، د ط، شركة الأمل للطباعة، القاهرة د س ن .

19) ابن عذارى (المراكشي) (ت 712هـ/1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تح : ج.س. كولان، و إ. ليفي بروفنسال،ج 1، ج 2، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1983م .

20) ابن غلبون (أبي عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي) (ت 1177هـ/1763م)، **التذكار فيمن ملك طرابلس و ما كان بها من الأخبار**، تع : الطاهر أحمد الزاوي، د ط، دار المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ .

21) ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني) (ت 810هـ/1407م)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح : محمد الشاذلي النيفر، و عبد المجيد التركي، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م .

22) ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر) (ت 774هـ/1375م)، **البداية و النهاية**، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج 3، ج 16، ط 1، دار هجر، القاهرة، 1417هـ/1997م .

23) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور)، **لسان العرب**، ج 1، ج 2، د ط، دار المعارف، القاهرة، د س ن .

24) ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) (ت 213 أو 218هـ)، **السيرة النبوية**، تع و تخ : عمر عبد السلام تدمري، ج 1، ط 3، دار الكتاب العربي، بيروت، 141هـ/ 1990م.

25) أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل) (ت 732هـ/ 1331م)، **المختصر في أخبار البشر**، ج 3، ط 1، دار المعرفة، بيروت، د س ن .

26) الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد الشريف)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج 1، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م .

27) أسامة بن منقذ (الكناني الشيزري) (ت 584هـ/1188م)، **الإعتبار مذكرات أسامة بن منقذ في الحروب الصليبية**، تد : عبد الكريم الأشتر، ط 2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1424هـ/2003م .

28) الإصطخري (أبي إسحق إبراهيم بن محمد الفاسي) (ت 346هـ/957م)، **المسالك و الممالك**، تح : محمد جابر عبد العال الحيني، د ط، دار القلم، القاهرة، 1381هـ/1961م .

29) الأندلسي (محمد الغساني)، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، تق : نوري الجراح، ط 1، دار السويدي للنشر و التوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2002م .

30) الأنصاري (أحمد النائب الطرابلسي)، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، ج 1، د ط، دار منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، 1317هـ/1899م .

31) الأنصاري، **نفحات النسرين و الريحان فيمن ملك طرابلس من الأعيان**، تق : محمد زينهم محمد عزب، د ط، دار الفرجاني للنشر و التوزيع، د ب ن، 1994م .

32) الباجي المسعودي (أبي عبد الله محمد)، **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، ط 2، الباجي، د د ن، تونس 1323م .

33) التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) (ت 717هـ/1320م) : **رحلة التجاني**، تق : حسن حسني عبد الوهاب، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس 1981 م .

34) الترجمان (أبي محمد عبد الله الميورقي) (ت 832هـ/1428م)، **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب** : تح : عمر وفيق الداعوق، ط 1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1408هـ/1988م .

35) الدباغ (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي) (ت 696هـ/1297م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تع : أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي، و محمد ماضو، ج 2، د ط، مكتبة الخانجي، مصر، د س ن .

36) الرشاطي أبو محمد (ت 542هـ/1147م)، و الإشبيلي ابن الخراط (ت581هـ/1186م)، **الأندلس في اقتباس الأنوار و في اختصار اقتباس الأنوار**، تق : إيميليو مولينا، و خاشينتو بوسك بيلا، د ط، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م .

37) الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية و المغرب**، تح : محمد زينهم محمد عزب، ط 1، دار الفرجاني، د ب ن، 1414هـ/1994م .

38) الزركشي (عبد الله محمد بن إبراهيم) (ت 894هـ/1488م)، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، ط 1، د ب ن، 1289هـ .

39) الزركلي (خير الدين)، **الأعلام**، ج 3، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م،

40) السلاوي (أحمد بن خالد الناصري)، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج 1، د ط، د ب ن، د س ن .

41) عبد الواحد المراكشي (محي الدين أبي محمد ابن علي التميمي) (ت 647هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، تح : محمد سعيد العريان، د ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1383هـ/1963م .

42) العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي) (852هـ/1448م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج 1، د ط، د د ن، د ب ن، د س ن .

43) العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله) (ت 749هـ/1348م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار(ممالك اليمن و الغرب الإسلامي و قبائل العرب)**، تح : حمزة أحمد عباس، س 4، ط 1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ/2002م .

44) العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد)، **الرحلة العياشية (1661 – 1663م)**، تح : سعيد الفاضلي، و سليمان القرشي، مج 1، ط 1، دار السويدي، الإمارات المتحدة، 2006م .

45) الغبريني (أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس) (ت 714هـ/1314م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح : عادل نويهص، ط 2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، أبريل 1979 م .

46) القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي) (ت 821هـ/1418م)، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تح : إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1402هـ/1982م .

47) كفوري (صفي الرحمن المبار)، **الرحيق المختوم**، د ط، دار ابن خلدون، د ب ن، د س ن .

48) ليون الإفريقي (حسن الوزان بن محمد الفاسي)، وصف إفريقيا، تر : محمد حجي، مج 1، د ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م .

49) مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بها بينهم**، تح : إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب المصري، د ب ن، 1410هـ/1989م .

50) مخلوف (محمد بن محمد)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، د ط، د د ن، القاهرة، 1349هـ .

51) المسعودي (أبي الحسن بن علي) (ت 346هـ/957م)، **مروج الذهب و معادن الجوهر**، مرا: كمال حسن مرعي، ج 4، ط 1، بيروت، 1425هـ/2005م .

52) المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر) (ت 380هـ/999م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ط 2، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، 1909م .

53) مقديش (محمود بن سعيد) (ت 1228هـ/1812م)، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار**، تح : علي الزواري، و محمد محفوظ، مج 2، د ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م .

54) المقري (أحمد بن محمد)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح : إحسان عباس، مج 3، د ط، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988 م .

55) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) : **الخطط المقريزية**، تح : محمد زينهم، و مديحة الشرقاوي، مرا : أحمد أحمد زيادة، ج 1، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م .

56) المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك سنة 718هـ – 745هـ**، تح : محمد عبد القادر عطا، ج 3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م .

57) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) (ت 733هـ/1334م)، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تح : عبد المجيد ترحيني، ج 24، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، و محمد الأخضر، ج 2، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 .

58) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله) (ت 626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، مج 1، د ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م .

ثانيا / المراجع العربية و الأجنبية :

أ / المراجع العربية :

1) إبراهيم حسن حسن ، **تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي العصر العباسي الثاني في الشرق و مصر و المغرب و الأندلس (447-656هـ/1055-1258م)**، ط 14، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م .

2) أرسلان شكيب ، **تاريخ غزوات العرب في فرنسا و سويسرا و إيطاليا و جزائر البحر المتوسط**، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د س ن .

3) بشاري محمد حبيب ، **روما و زراعة المقاطعات الإفريقية بين 146 ق.م و 285م**، د ط، دار الهدى، الجزائر، 2015م .

4) الثعالبي عبد العزيز ، **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، تح : أحمد بن ميلاد، و محمد إدريس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م .

5) الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، **تاريخ الجزائر العام**، ج 1، د ط، دار الأمة، الجزائر، 2009م .

6) حتامله محمد عبده ، **الأندلس التاريخ و الحضارة و المحنة دراسة شاملة**، د ط، مطابع الدستور التجارية، الأردن، 1420هـ/2000م .

7) الحريري سيد علي ، **الأخبار السنية في الحروب الصليبية**، د ط، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1317هـ/1899م .

8) الحريري محمد عيسى ، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها و علاقاتها الخارجية بالمغرب و الأندلس (160هـ- 296هـ)**، ط 3، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م .

9) حسين ممدوح ، و شاكر مصطفى ، **الحروب الصليبية في شمال إفريقية و أثرها الحضاري سنة 668 – 792 هجرية 167 – 1390 ميلادية**، ط 1، دار عمار، الأردن، 1419هـ/1998م .

10) الدولاتي عبد العزيز ، **تونس أعلام و معالم**، د ط، الوكالة القومية للتراث، د ب ن، 1997 م .

11) رمضان عبد العظيم ، **الصراع بين العرب و أوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية**، د ط، دار المعارف، القاهرة، 1983م .

12) الزاوي الطاهر أحمد ، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، 4، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م .

13) الساحلي حمادي ، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م .

14) السرجاني راغب ، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، ط 1، مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، 1432هـ/2011م .

15) سويد ياسين ، **حروب القدس في التاريخ الإسلامي و العربي**، ط 1، دار الملتقى للطباعة و النشر، بيروت، 1997م .

16) الشامي أحمد ، **تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى**، د ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 1045هـ/1985م .

17) الشريف محمد الهادي ، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال**، تعر : محمد الشاوش، و محمد عجينة، ط 3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م .

18) صفر أحمد ، **مدينة المغرب العربي في التاريخ عشرون قرنا من تاريخ إفريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي**، ج 1، د ط، دار بوسلامة، تونس، 1959م .

19) طالبي محمد ، **دائرة المعارف التونسية في تاريخ إفريقية أعلام – مواقع – قضايا**، تر : محمد العربي عبد الرزاق، و رياض المرزوقي، ع خ، ط 1، بيت الحكمة، تونس، 1994م .

20) طقوش محمد سهيل ، **تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) (489- 690هـ/1096- 1291م)**، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1432هـ/2011م، ص 16 .

21) عاشور سعيد عبد الفتاح .، **أضواء جديدة على الحروب الصليبية**، د ط، دار القلم، القاهرة، 1964م .

22) عاشور سعيد عبد الفتاح ، **الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى**، ج 1، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971م .

23) عاشور سعيد عبد الفتاح ـ، **أوروبا العصور الوسطى النظم و الحضارة** (مزيدة و منقحة)، ج 2، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م .

24) عاشور سعيد عبد الفتاح، و إسمت غنيم، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م .

25) عبد المجيد عبد القوي زينب ، **الإنجليز و الحروب الصليبية في الفترة من 1189م – 1291م**، ط 1، عين للدراسات و البحوث والإنسانية و الإجتماعية، القاهرة، 1996م .

26) عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية و الدولة العامرية العصر الأول – القسم الثاني، ط 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م .

27) عمارة عبد الله سليم ، **حملات الفرنجة (و إسرائيل) تشابه في المسار و المصير**، ع 75، د ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009م .

28) عمران محمود سعيد ، **تاريخ الحروب الصليبية 1095 – 1211م**، د ط، دار المعرفة الجامعية، د ب ن، 2000م .

29) عمران محمود سعيد ، **معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، د ط، دار المعرفة الجامعية، د ب ن، د س ن

30) عمورة عمار ، **الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م الجزائر عامة**، ج1، د ط، دار المعرفة، الجزائر، 2006م .

31) العودات حسين ، **العرب النصارى عرض تاريخي**، ط 1، الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، 1992م

32) عوض محمد مؤنس ، **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق و الغرب في القرنين (12– 13م/ 6– 7هـ)**، ط 1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، د ب ن، 2000/1999م .

33) قاسم عبده قاسم، **ماهية الحروب الصليبية**، ع 149، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1990م .

34) لقبال موسى ، **المغرب الإسلامي**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م .

35) محمد جوهر حسن ، **تونس**، د ط، دار المعارف، القاهرة، 1961 م، ص 22 .

36) محمد زيتون محمد ، **المسلمون في المغرب و الأندلس**، د ط، د ب ن، 1411هـ/1990م .

37) المدني أحمد توفيق ، **المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا**، د ط، مكتبة الإستقامة، تونس، د س ن .

38) المدني أحمد توفيق ، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492 – 1792**، د ط، دار البعث، الجزائر، د س ن .

39) المطوي محمد العروسي ، **الحروب الصليبية في المشرق و المغرب** (منقحة)، ط 2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1982م .

40) المطوي محمد العروسي ، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي**، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م .

41) معلوف أمين ، **الحروب الصليبية كما رآها العرب**، تر : عفيف دمشقية، ط 1، دار الفارابي، بيروت، 1989 .

42) مؤنس حسين ، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، ط خ، دار الرشاد، د ب ن، 2004م .

ب) المراجع المعربة :

43) برنشفيك روبار ، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، تر : حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م

44) بيترو. إديوري، **قبرص و الحروب الصليبية**، ط 1، دار الملتقى للطباعة و النشر، بيروت، 1997م .

45) توينبي أرنولد ، **مختصر دراسة للتاريخ**، تر : فؤاد محمد شبل، ج 1، د ط، د د ن، القاهرة، 2011م .

46) رنسيمان ستيفن ، **تاريخ الحروب الصليبية المغول و المماليك و نهاية الشرق الفرنجي**، تر : السيد الباز العريني مج 3، د ط، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م

47) ريلي جوناتان . سميث، **الحملة الصليبية الأولى و فكرة الحروب الصليبية**، تر : محمد فتحي الشاعر، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب ن، 1999م .

48) شاخت جوزيف ، و بوزورث كليفورد ، **تراث الإسلام**، تر: محمد رهير السمهوري و آخرون، تح : شاكر مصطفى، ج 1، ع 233، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1998م .

49) عطية عزيز سوريال ، **الحروب الصليبية و تأثيرها على العلاقات بين الشرق و الغرب**، تر: فيليب صابر سيف، ط 2، دار الثقافة، القاهرة، د س ن .

50) غالي الذهبي إدوارد ، **معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ط1، مكتبة غريب، القاهرة، 1993 .

51) فيرو شارل ، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي** (مزيدة و منقحة)، تح : محمد عبد الكريم الوافي، ط 3، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، 1994م .

52) فييه جان موريس ، **أحوال النصارى في خلافة بني العباس**، ط 1، دار المشرق، بيروت، 1990م .

53) مارسيه جورج ، **بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر : محمود عبد الصمد هيكل، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م .

ج) الأطالس و الموسوعات و المعاجم :

54) ابن عبد الله بن أحمد المغلوت سامي ، **أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ط 1، دار العبيكان للأبحاث و التطوير، الرياض، 1430هـ/2009م .

55) زكار سهيل ، **الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية (أوروبا في العصور الوسطى و مراحل وقائع الحروب الصليبية)**، تح : سهيل زكار، د ط، ج 3، د د ن، دمشق، 1416هـ/1995م .

56) عبد الكريم الخطيب مصطفى ، **معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية**، ط 1، مؤسسة الرسالة، د د ن، بيروت، 1416هـ/1996م .

57) الفاروقي إسماعيل راجي ، و الفاروقي لوس لمياء ، **أطلس الحضارة الإسلامية**، تر: عبد الواحد لؤلؤة، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1419 هـ/1998 م .

58) مؤنس حسين ، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط 1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1407هـ/1987م، ص 267 .

د) المذكرات :

59) أحمد فاخر النائب منى ، **الحملات الفرنجية (الصليبية) ضد شمال إفريقية (668- 793هـ/1270-1390م)**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في تاريخ العرب و الإسلام، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق 1433هـ/ 2012م .

60) بن خيرة أحمد ، **دور المغاربة و الأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين (400-800هـ)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة الجزائر-2- 1431-1432هـ/2010-2011م .

61) بن زاوي طارق ، **إستقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/1016- 1062م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008م .

هـ) الجرائد و المجلات :

62) بن عبد الله البشري سعد ، **جماعات الفرسان الدينية الإسبانية و حروبها مع المسلمين في الأندلس**، مجلة جامعة أم القرى، ع 7 1413هـ/1992م-93م

63) الطحاوي حاتم ، **الإسلام و أوروبا في العصور الوسطى قضايا المجابهة و العلاقات السياسية و الإنسانية**، جريدة الحياة، بتاريخ 2004/07/03م .

ج) المراجع الأجنبية :

64) brunschvic Robert : **La Berbirie Orientale sous les hafsides des Origines a la fin du XV^{e} Siecle,** 1^{éme} partie, Paris 1940**,** pp 55 – 56.

65) f.Madden Thomas, **the concise history of the crusades**, pub: Rowman, et Llittefield, third edition, Distributed by national Book network .

66) Sicard Ernest, : Easy French History, Chicago, Scott, 1901 .

د) مواقع الإنترنيت :

67) Atiya A.S. : **the crusade in the tater middle ages V.laurent**, chos d `orient tome 38,n0 195-196,1939/ http :

//www.**persee.fr/doc/rebyz_11469447_1939_num_38_195_2945_t1_0**
.

68) https://**ar.wikipedia.org/wiki**،بتوقيت، 2017/05/22، بتاريخ، h 10:00
69http://**mb-soft.com/believe/tah/dominic.htm** ،2017/05/22 بتاريخ،
h. 10:00 بتوقيت،

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
المقدمة	**2**
الفصل التمهيدي : بوادر وإرهاصات الحروب الصليبية العامة.	
أولا / بلاد المغرب والحروب الصليبية (المفهوم والدلالة) .	**9**
ثانيا / خلفيات الصراع الصليبي .	**15**
1- صورة المسلم والمسيحي في الأدبيات الإسلامية والأدبيات المسيحية .	**15**
2- أهمية بلاد المغرب عند المسيحيين .	**18**
3- إنتصار مسلمي المغرب ووصول الفتوحات إلى الأندلس وبواتييه وصقلية.	**22**
الفصل الأول : الحروب الصليبية أوضاعها وظروفها، مشاريعها.	
المبحث الأول : الإطار العام للحروب الصليبية .	
المطلب الأول : أوضاع وظروف الغرب الإسلامي والمسيحي .	**27**
المطلب الثاني : دوافع الحروب الصليبية .	**34**
المبحث الثاني : نشاط حركة التنصير ومشاريع الغرب المسيحي للسيطرة على بلاد المغرب	
المطلب الأول : نشاط حركة التنصير في شمال إفريقية .	**42**
المطلب الثاني : مشاريع الغرب المسيحي للسيطرة على بلاد المغرب .	**46**
الفصل الثاني : الحملات الصليبية على شمال إفريقية أواخر القرن (5-7هـ/11-13م).	
المبحث الأول : هجوم القوى الصليبية على المهدية (480-517هـ/1087-1123م) واحتلال السواحل الإفريقية (537-543هـ/1142-1148م).	
المطلب الأول : هجوم جنوى وبيزا على المهدية (480 هـ/1087 م) .	**55**
المطلب الثاني : العدوان النورماني على المهدية (517هـ/1123م) .	**57**
المطلب الثالث : إحتلال السواحل الإفريقية (537-543هـ/1142-1148م) .	**61**
المبحث الثاني : صليبية لويس التاسع على إفريقية (668 هـ/1270م) .	

المطلب الأول : تخطيط لويس التاسع للحملة ومسيرها إلى تونس .	**68**
المطلب الثاني : إنطلاق الحملة .	**71**
المطلب الثالث : الهزيمة وانسحاب الحملة .	**79**
الفصل الثالث : الحملات الصليبية على شمال إفريقية أواخر القرن (7-8هـ/13-14م).	
المبحث الأول : الهجوم الأراغوني على إفريقية (681 هـ-688هـ/1282- 1289 م).	
المطلب الأول : محاولة احتلال قسنطينة (681هـ/1282م) .	**84**
المطلب الثاني : إحتلال جربة (688هـ/1289م) .	**89**
المطلب الثالث : حركة ابن أبي دبوس (688هـ/1289م) .	**91**
المبحث الثاني : هجوم جنوى على طرابلس (755هـ/1354م) وحملة لويس دي بوربون على المهدية (792هـ/1390م).	
المطلب الأول : هجوم الجنويين على طرابلس (755 هـ/1354 م) .	**93**
المطلب الثاني : حملة لويس دي بوربون على المهدية (792هـ/1390م).	**97**
خاتمة .	**108-107**
الملاحق	**119-110**
قائمة المصادر والمراجع .	**134-121**
فهرس المحتويات .	

تم بحمد الله